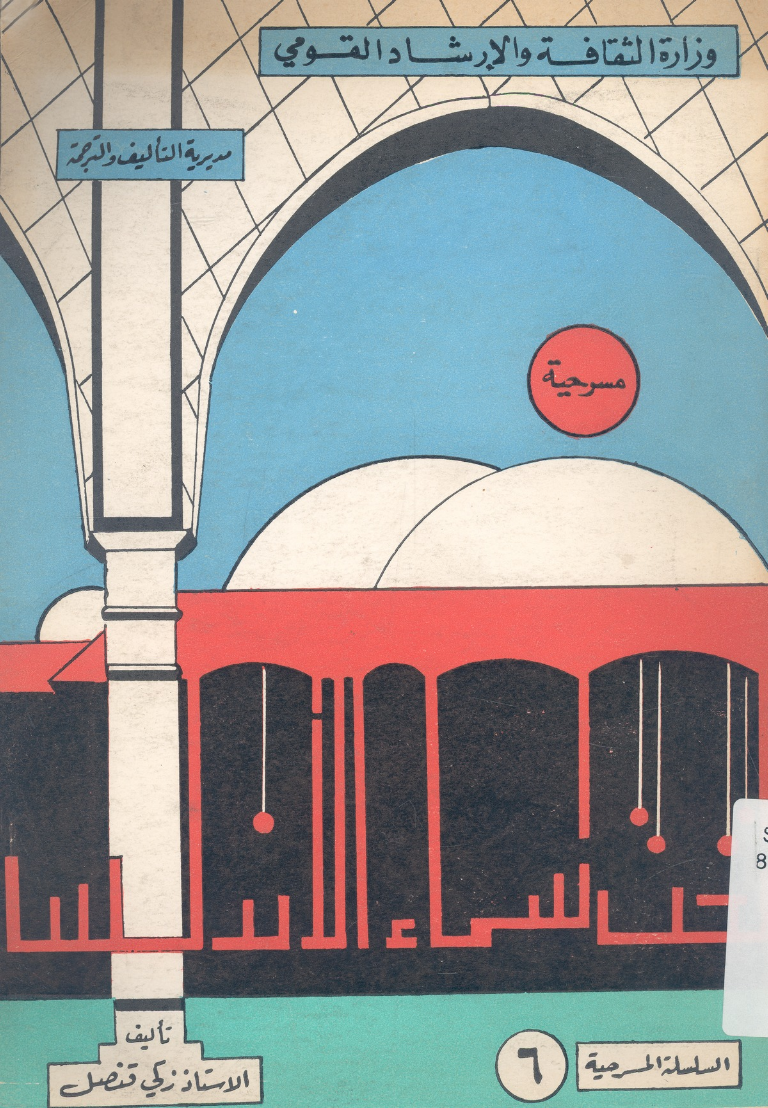


وزارة الثقافة والإرشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة
مسرحية
تأليف
الاستاذ زكي قنصل
السلسلة المسرحية
٦

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

تحت سماء الأندلس

تمثيلية في أربعة فصول

بقلم زكي قنصل

دمشق
١٩٦٥

أشخاص الرواية

موسى بن نصير ـ عامل بني امية على المغرب

عبد العزيز ـ ابنه

طارق بن زياد ـ قائد جيوش موسى

خليـان ـ جاسوس اسباني

سلمـان ـ حاجب في قصر موسى

أبو الحسن ـ من رجال موسى

أبو ليـلى ـ من رجال موسى

سعـد ـ حاجب في قصر الامارة بالاندلس

اخيـلونا ـ ارملة لزريق

زيدون بن ربيعة ـ من جنود عبد العزيز

اسباني ـ

جنـود ـ

الفصل الأول

المكان :

(قاعة في قصر موسى بن نصير عامل بني امية على المغرب)

موسى – طارق

طـــارق – (يدخل) السلام على مولاي الامير

موسى – اهلاً بالقائد الباسل . (يومىء اليه بالجلوس) دعوتك ياطـــارق لشأن هام يتعلق بمجد الأمة ويتوقف عليه مستقبل الدولة

طـــارق – أنا فخورٌ بهذه الثقة ، سعيدٌ اذا استطعتُ أن اخـــدم قومي ودولتي .

موسى – بورك فيك . اسمع ياطارق ، منذ زمن بعيـد وأنا افكّر بغزو اسبانيا. وقد اوفدتُ اليها ، كما تعلم ، من يتسقط اخبارها ويستطلع احوالها . وقد عاد هذا الوفد منذ أيام وحدثني بما رأى وماسمع ، فرسّخَ عندي أن الفرصة سانحةٌ للقيام بهذا العمل العظيم . وقـد رأيتُ قبل كل شيء ان أستشيرك في الأمر لأني اعتمد على رأيك وأثق باخلاصك و كفاءتك .

طـــارق ـ ليس لي أن اخالف ماترى فيه الخير والصواب .

موسى ـ لا أريد أن تتقيّد بآرائي ، فقد اكون فيها على خطأ . ان مصلحة الأمة تقضي بأن نتخاطب بصراحة ونتدارس الرأي بجرية .

طـــارق ـ وهل استشرتَ مولانا أمير المؤمنين ؟

موسى ـ أرسلتُ اليه من ينبئه بالخبر ، فأجابني انه يضـع الأمر في يدي ويطلق لي حرية العمل والتدبير على أن يمدنا بمـــا يستطيـع من رجال وعتاد .

طـــارق ـ انها والله لمغامرة تحفّها المصاعب وتقوم في طريقها المخاطر والأهوال.

موسى ـ أنا لا أجهل ذلك . وأعرف أننا نتعرّض ونعرّض الدولة لخطر عظيم . ولكن أسباب النصر متوفرة لدينا وكفّة التفاؤل راجحة . لاتحسب ياطارق اني استسلم للوهم وانقاد للعاطفة ، فأنت تعرفني رجلاً عملياً ، وليس رأيي الا وليـد التفكير الطويل والدرس المتواصل .

طـــارق ـ وعلى ماذا تبني تفاؤلك ؟

موسى ـ ان لزريق ، عاهل الاسبان ، رجل منهتك مستهتر أهمل شؤون الدولة وانصرف بعقله وقلبه الى ملذاته ، فتصدع شمل امتـــه وتفرقت كلمتها وراجت الدسائس والمنازعات بين زعمائها وولاة أمرها وقامت الفتن والقلاقل في طول البلاد وعرضها . فهل تستطيـع أمةٌ ، هذه حالتها ، أن تقف في وجه عدو يسير اليها بجيشين من جند وايمان ؟

طـــارق ــ ولكن ألا يمكن أن تستجمع هذه الأمة نشاطها وتؤلف قلوبهـا اذا احست بالخطر المداهم وخافت على كيانها وحريتها ؟

موسى ــ لن نفسح لها مجال التفكير والاستعداد ، وان كنت على يقين بأن أمرها قد خرج من يدها ، لأن لزريق قد اوغر عليه صدور الناس برذائله وموبقاته فهم يتربصون به الدوائر للانتقاض والانتقام ، ولو سلكوا الى غايتهم طريق الغدر والخيانة

أبو ليلى ــ فهل نضيع فرصة كهذه ؟

موسى ــ لقد دان الشرق لسلطان الاسلام ياطارق ، فلنحمل هذا العلم المجيد الى ماوراء البحار ، ولننشر في تلك الربوع المظلمة المضطربة أنوار الحق والجمال والفضيلة .

طــارق ــ حياك الله أيها الأمير وبلّغك أمانيك . ان ايمانك الراسخ بالنصر قد تسرّب الى أعماق نفسي فنفخ فيهـا روح العزم والاقدام ، ومحا ما كان فيها من تردّد وشك . انني رهن اشارتك فمر بمـا تشاء (يدخل عبد العزيز)

عبدالعزيز ــ عموا مساءً . (الى طارق) كيف حال القائد الجريء ؟

طــارق ــ أهلًا بالصديق الأحبّ . أنا سعيد جداً بلقياك . (يتعانقان)

موسى ــ لقد وصلت في حينك يا عبد العزيز ، فقد كنا نتحدث في شأن اسبانيا ، وكان طارق وجِلًا متردداً ولكنه ما لبث ان غيّر رأيه وزالت مخاوفه .

عبدالعزيز ــ ليس اجتياح اسبانيا بالامر المستحيل لاسيما في هـــذه الظروف .

فقد كنت في البعثة التي اوفدها سيدي الوالد الى هناك واتصلت برجال البلاط ودرستُ افكار الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازعهم ، فلم ارَ الا ّ صدوراً تجأر بالشكوى وتضطرب بالثورة ، ونفوساً ارهقها ظلم لزريق وعسفه ، فهي تترقب الفرصة لتنفجر وتصبّ عليه صواعق غضبها ونقمتها . ومما يزيد النار اتّقاداً ويذكي دفين الحقد ان لزريق اغتصب الملك اغتصاباً من ورثة الملك السابق ويتيزا واختلسه بالمكر والدسيسة . وقد اتصلتُ بكثيرين ممن يثق بهم ويعتمد على نصرتهم فكاشفوني بما في نفوسهم من ثورة وضغينة واطلعوني على اسرار البلاط ودخائله وزيّنوا لي اكتساح بلادهم ووعدوني بالمساعدة المطلقة ، فلم اجبهم بكلمة خوفاً من ان يقدم احد منهم فيعترف لمليكه بما فعلوا فتذهب اتعابنا هدراً .

موسى ـ حسناً فعلت يابني يجب ان نحيط اعمالنا وافكارنا بالكتمان الشديد فلا يتسرّب شيء منها الى لزريق ، حتى اذا فرغنا من تجهيز الحملة وتهيئة معداتها انقضضنا عليه انقضاض النسور فلا يصحو الا ّ على عرش منهار وتاج مدحرج .

ابو ليلى ـ وسيكون ذلك اليوم فاتحة عهد جديد في تاريخ الانسانية ينقلها من الظلمة الى النور . ان تعاليم الشرق ستنشر الرخاء والسلام في ربوع لا تحبل اليوم الا ّ بالفتن والقلاقل .

موسى ـ ولقد صحّ عزمي ياطارق أن اضع قيادة الحملة في يديك ، فليس في رجالنا من يعد لك حزماً وبأساً وخبرة بفنون القتال .

طارق ـ غمرتني بكرمك يامولاي ، ولكني ارى انك تجاوزتَ من هو احق مني بالتقديم واولى بالامـــارة واجدى على القضية . ان عبد العزيز على حـــداثة سنّه يجمع الى نشاط الشباب واقدامه حكمة الشيخوخة وحنكتها . وهو الى ذلك رجل يحبّه النـاس ويحترمونه ويرون فيه المثال الاعلى للنبل والشجاعة وكرم الاخلاق ، فاذا تولّى القيادة استعذبوا الموت واستهانوا بالملمات في سبيله . وأنا فخور بأن أسير في جيشه جندياً بسيطاً أأتمر بأوامره وأنتهي بنواهيـــه .

عبدالعزيز ـ لا أحسب ثناءك هـــذا الاّ من باب العطف والتشجيـع . واذا أبيتَ الاّ أن تجعل لي هذا الشأن فاني أريد أن أعطي الناس درساً في التضحية والايثـار وأمثولة في تقديم قضية الجماعة على مصلحة الفرد . لن أسير الى الأندلس الاّ تحت قيادتك ، فاذا كتبتْ لي السلامة حتى أرى علم النصر مرفرفاً فوق رؤوسنـا اكتفيتُ من الفخر بأني سيف من سيوفك القـاطعة ، واذا استشهدتُ في أول الطريق متُّ قرير العين مطمئن الضمير لأن على رأس جيوشنا رجلاً لن يغمد سيفه حتى يضيف الى تاريخ العرب صفحات تشرق بالمجد والسؤدد وتموج بآيات البأس والبطولة .

طـــارق ـ حييتَ ياعبد العزيز ، وبورك محتدك . ان جيشاً يمشي تحت لوائه أمثالك لايمكن ان يُقهر ولو تألبتْ عليه الدنيا بأسرها . (لموسى) مادمتما مصرين على تطويقي بهذه الثقة فأنا أرضخ لإرادتكما ولكني أشترط على مولاي الأمير ان يطلق لي بدوري حرية العمل والتدبير .

ويشهد الله اني لن استخدم سلطتي إلا لخير الامة وعز الدولة .

موسى ـ يمكنك ان تصنع ماتشاء فليس لدينا شك في اخلاصك وأمانتك .

عبدالعزيز ـ ومتى نسير الى اسبانيا ؟

موسى ـ أعتقد ان تجهيز الحملة وتموينها بما تحتاج اليه من زاد وعتاد لايستلزم أكثر من شهرين .يجب الاّ نضيع الوقت سدى .

طـــارق ـ صدقت . انا ذاهب الساعة لإنجاز اعمالي الخاصة على ان نلتقي غداً. استودعكما الله .

عبدالعزيز ـ انا في خدمتك منذ الآن ياسيدي القائد (يخرج طارق) .

موسى ـ صحبتك السلامة ياطارق . (الى عبد العزيز) وانا ذاهب في شأن وسأعود بعد قليل . لاتنس ان تطلعني على كل جديد في الأمر .

عبدالعزيز ـ أمرك مطـاع سيدي . (يخرج موسى فينصرف عبد العزيز الى مطالعة كتاب فيدخل سلمان) .

سلمان ـ في الباب رجل زريّ الهيئة يلحّ في مقابلة مولاي ، وقد حاولت ان أصرفه بالتي هي أحسن .فلم يقتنع وأصر على عزمه .

عبدالعزيز ـ ألم أوصك اكثر من مرة ألاّ تردّ سائلًا ولا تمنع طالب حاجة ؟ (يخرج سلمان ثم يدخل خليان بزي رجل غريب).

خليان ـ السلام على سيدي الأمير (يقبل الأرض بين يديه) .

عبدالعزيز ـ وعليك السلام ايها الغريب . إنهض وقل ماحاجتك .

خليان ـ ليسمح لي سيدي الأمير أن ألقي بين يديه أمري وأطلق شكواي . أنا رجل شرده الشقاء عن أهـله ووطنه ، نشأتُ في بيت كريم

الجذور عريق الأصول تشرق جهاته الاربع باليمن والعز والتقوى والصلاح ، ويفىء اليه أبناء الحاجة وأبناء السبيل . توفي والدي وأنا في مطلع الشباب وخلف لي ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وسمعة طيبة ، فتزوجت من فتاة أحبها وتحبني فتضاعفت سعادتي وإزداد إطمئناني . وهكذا عشتُ يحسدني الناس ولا أحسد أحداً ، ولكن الدهر مالبث ان تجهم لي ففجعني بزوجتي وقد تركتْ لي صبياً لا يتجاوز العامين من عمره ، فتذرعت بالصبر وأنصرفتُ الى تربيته وكنتُ أحبه الى حد العبادة لأنه وحيدي ومعقد آمالي ، ولأنه يحمل في عينيه سناء عيني أمه ، وفي ثغره صورة ثغرها . ولم أشأ ان أحمل اليه أماً ثانية إحتراماً لذكرى تلك التي حملت اليّ السعادة والطمأنينة وخوفاً من أن أضيف الى مصيبة ولدي مصيبة أخرى قد تكون أنكى من اليتم وأنكر .

عبدالعزيز ـ حُييتَ من زوج وبوركتَ من والد !

خليان ـ ودهتني على أثر ذلك سنوات شدّة وعسر ذاب معها القسم الأكبر مما أملك ، فلم أحفل ولم اقنطْ لأن ابني كان أملي الوحيد في الدنيا وملاذي للغد ، فجعلتُ انفق على تعليمه وتهذيبه بقية ثروتي الى أن فرغتْ يدي من المال . فلمّا اخضلّ عوده واورق وبشّر بالظل والجنى اعاد الدهر كرّته فاختطفه من بين يدي وانا انظر فارى انفاسه تتلاشى فاحسّ أن روحي تتلاشى معه (يتظاهر بالبكاء) .

عبدالعزيز ـ (وُقد بدا عليه الانفعال) هوّن عليك يا أخي ، فقد يطلع النور من حيث لاترى الا الظلمة والقتام .

خليان ـ وانكرني أهلي وصحبي وتجاهلني من كان يعيش في ظلي أيام عزّي ويسري ، فضاقت في وجهي مذاهب الحياة وسدّت سبل الأمل ، فغادرتُ ملاعب طفولتي ومراتع صباي وهمت على وجهي شريداً طريداً لا أجد من يكفكف دمعي أو يرثي لحالي .
وما زلتُ على هذه الحال تقذفني الحواضر الى البوادي فتلفظني البوادي الى الحواضر حتى قادني التطواف الى هذا البلد الطيّب فسمعت الناس يتحدثون بكرمك وحميتك ويتغنّون بمروءتك وشهامتك ، فحثثتُ نحوك خطاي ، وانا على يقين بانك لن تخيّب رجاء رجل فجعه الدهر بأهله وماله ووطنه .

عبدالعزيز ـ طبْ نفساً أيها الرجل ، فسنهتم بأمرك ولن تخرج من حمانا الا ناعم البال ان شاء الله .
ومن أيّ البلاد أنت ؟

خليان ـ من فارس

عبدالعزيز ـ (بدهشة) من فارس ؟

خليان ـ نعم من قاعدة فارس .

عبدالعزيز ـ ان حاجبنا سلمان فارسي أيضاً . (ينادي) سلمان !

سلمان ـ (يقبل) سيدي .

عبدالعزيز ـ ان هذا الرجل ياسلمان من عشيرتك ووطنك ، انه من فارس وقد طرحته مطارح النوى في حمانا ، فهيء له حجرة مفروشة وثوباً جديداً ريثما نرى في أمره .

سلمان ـ أنت من فارس ؟

خليان ـ نعم يا أخي .

سلمان ـ وكيف حال فارس ؟ لقد مضتْ عليّ عشر سنوات وانا بعيد عنها . واشواقي الى نهلة من مائها !

عبدالعزيز ـ انا تاركُكما فتحدثا بحرية واستعيدا على مهلٍ ذكريات الوطن ، ولكن لاتنسَ يا سلمان واجب الضيافة .

سلمان ـ أمرك سيدي . (يخرج عبد العزيز فيشيعه سلمان بنظره حتى يغيب ثم يتلفت يمنة ويسرة حتى اذا اطمأن الى أن المكان خالٍ من الناس ، تقدم من خليان وخاطبه همساً) اياك ان ينكشف امرك فتوردنا موارد الهلاك . كن متكتماً حذراً ولا يبدُ منك مايدعو الى الريبة . لاتبوح حجرتك الا عند الحاجة . يجب الا تمكث هنا الا ثلاثة أيام أو أربعة ثم تزعم أن الشوق حملك ثانية الى فارس او تختلق حجة اخرى مأمونة العواقب . سأحمل اليك كل ما اتلصص من الأخبار والأسرار .

خليان ـ بورك فيك ياسلمان ، ان الخدمة التي تؤديها لي لاتفيها مكافأة ولكن ثق أني لن أنساها أبداً . سيكون لك شأن عظيم في بلادي متى اطلعتُ مولاي لزريق على مساعيك .

سلمان ـ أنا مدين لك بحياتي أيها الأمير ، فما أزال اذكر عطفك وعنايتك يوم سطا علي اللصوص في مدينة فاس فسلبوني ما أحمل واثخنوني بالجراح ثم ولّوا الأدبار ، فسقطتُ اتضرّج بدمي في قارعة

الطريق ولبثتُ بين الموت والحياة الى ان ساقك الله اليّ فاحتملتني
الى بيتك وضمدتَ جروحي برأفة وسهرتَ على حيــاتي وانت
لاتعرف من أمري خيراً ولا شراً ، حتى اذا استعدتُ عـافيتي
ونشاطي الحقتني في خدمتك واجزلتَ لي الأجر وعاملتني معاملة
الوالد للولد .

خليــان ـ لم أقم الا بما تقضي به الشهامة ياسلمان ويفرضه الواجب الانساني

سلمان ـ (متابعاً) ولئن نسيت فلن أنسى تلك الدمعة التي ذرفتها وأنت
تضمني الى صدرك يومَ عدتَ الى وطنك اسبانيـا كأنك تودّع
فرداً من اسرتك لارجلا فارسياً غريباً عنك لغة وداراً وديناً ،
رجلا لم تجمعك به الا مأساة يقع مثلها كل يوم وكل ساعة ، ولم
تربطه بك الا صلةٌ هي مزيـج من الشعور بالجميل والمصلحة التجارية .
هذا مايدفعني الى خدمتك الآن لا ماتعرضه عليّ من المال والجاه .
وثق أيها الأمير أنه لو كانت تربطني بهؤلاء القوم رابطــة الدم
والجنس أو لو كنتُ أضمر لهم شيئاً من الحب والوفاء لمااستطعتَ
اغرائي ولو وضعتَ في يدي صولجان لزريق وعلى جبيني تاجه .

خليــــان ـ اني احترم فيك هذه العاطفة ياسلمان ، ولكن مالنا وللماضي . ان
لدينا الآن ماهو أهمّ من ذلك ، فهل من جديد ؟ (يعطيه كيساً
من النقود)

سلمـــان ـ اسمع ايها الأمير ، في نيّة سيدي موسى ان يغزو بلادكم . ان
هذا الخاطر يدور في خلده منذ زمن بعيد وهو الآن ساع لتحقيقه .

فقد اجتمع منذ ساعة بطارق بن زياد ثم بابنه عبد العزيز وبعد ان تداولوا الرأي اتفقوا على أن يشرعوا منذ اليوم بتجهيز معدات الغـــزوة .

خليـان ـ أو يظنون انهم يستطيعون اجتياح الغيل واذلال ليوثه بهذه السهولة؟

سلمـــان ـ لقد كان طارق متردداً بادىء الأمر ، ولكن موسى مازال بـه حتى افحمه وبعث في نفسه الايمان ، ثم جـاء عبد العزيز فزكى حجج والده ودعم براهينه فانقاد طارق اليها وتلاشى في نفسه كل أثر للخوف والتردد . وقد ضربوا موعداً للغزوة لا يتجاوز الشهرين. وأجمعوا على أن يتولى طارق قيادة الجيش .

خليان ـ أويبلغ بهم الهوس هذا المبلغ ؟

سلمان ـ وكان سيدي موسى قد أوفد الى بلادكم منذ شهور بعثة من رجال ثقته لتجسس شؤونكم السياسية وتحسس مواضع الضعف والقوة فيكم ، ودرس طرقات البلاد ومساربها ، وقد عاد هذا الوفد منذ أيام وأطلعـــه على كل مايهمه من شؤونكم وزينوا له إقتناص هذه الفرصة .

خليان ـ سنريهم عاقبة الغرور ، ان الإسبان لا ينامون على ضيم فالويل لمن تحدثه نفسه بغمز قناتهم .

سلمان ـ (يتلفت) اني أسمع وقع أقدام وأخاف أن نثير حولنا الريب. هيا نواصل الحديث في حجرتي . (يخرجـان فيدخل موسى وأبو الحسن) .

أبوالحسن ـ صدقت أيها الأمير ، ان طارقاً رجل حرب وقتال . مافي ذلك شك . ولكني لا أوافقك على تسليمه قيادة الجيوش . لا أقولها حسداً منه أو غيبة فليس بيني وبينه مايدعوني الى مناهضته ، ولكني أقولها غيرة عليك وحرصاً على مصلحة الدولة ، فقد يُغويه الطمع إذا حالفه النصر فيستبد بالأمر ويستقل بالولاية .

موسى ـ لم يبدُ منه حتى الآن مايثير مثل هذا القلق ، فقد جربته في شؤون كثيرة فأخلص الخدمة وأدى الأمانة . لانستطيع ان نستغني عن طارق ياأبا الحسن ، فهو رجل ميمون الطالع محمود السيرة والسريرة أجمعت القلوب على حبه وإحترامه وأنا على يقين بانه لن يخيب ثقة الناس به .

أبوالحسن ـ أتمنى أن يحقق الله ظنك ، ولكن ماذا عليك اذا أخذت للأمر حيطته فقيدت حريته برجال يستشيرهم ويصدر عن آرائهم ، وأحطت أعماله بالأرصاد والعيون ؟

موسي ـ تلك أول عقبة في طريق الفتح . ان مصير الدولة منوط بهذه الحملة ، متوقف على حظها من الفشل أو النجاح ، فكيف أغلّ يد قائدها فأعرضها للفشل والفضيحة وأجرّ الدولة الى مهاوي العار والهوان ؟ هل تعتقد ان خالد بن الوليد كان استطاع فتح الشام لو تقيدت حريته على النحو الذي تشير ؟ أنت على خطأ في رأيك ياأبا الحسن ، فليس طارق بالرجل الذي تُضرب حوله الأرصاد وتُحاط أعماله بالعيون ، اني أثق به أكثر مما أثق بأولادي ولا

تستطيع قوة على وجه الأرض أن تزحزحني عن رأيي .

ابو الحسن ـ انا لا اتهجّم على طارق ايها الامير ولا اعرّض بامانته ، فقد يكون كما ذكرت ، ولكني امحضك النصح خالصاً لوجه الله ، فليس من الحكمة واصالة الرأي ان تضع في يده مصير الدولة ثم تطلق له الحبل على الغارب فيصبح الآمر الناهي ويتمتع بشهرةٍ وضعتَ انتَ اسبابها ومجدٍ مهّدتَ انتَ طريقه .

موسى ـ لا تقوم الدول يا ابا الحسن ولا يعظم شأنها الا بقدر ما في نفوس ولاتهـا من استعداد للتضحية . ماذا يضيرني ان يصبح اسمي نكرةً في الافواه اذا ادت هذه التضحية الى ازدهـار الدولة العربية وامتداد ظلها الى اطراف الغرب ؟

ابو الحسن ـ ولكنكَ وقفتَ حياتك على خدمة الدولة ايها الامير فكيف يهون عندك ان تضحي بهذا الماضي الباذخ في سبيل رجل لا يمتّ اليك بسبب ؟ ألا يقول الناس ايهـا الامير ان موسى بن نصير جنى على اولاده ولم يورثهم الا الخيبة والخمول ؟ اذا كان لابد من التضحية فان اولادك اولى النـاس باستثمار ما غرست . يستطيع ابنك عبدالله ان يتولّى القيادة ، وإلا فما يمنع من تولية عبد العزيز ؟

موسى ـ ليس احتكار الرتب وحصرها في بيت واحد من شيمتي يا اباالحسن ، فهي تولّد سوء الظن في النفوس وتدل على انانية يجب ان تُحارَب وتشير الى استهانة بحقوق الرعية اكرهها . ان المجد لا يُنـال بالوراثة كما تتوهم ، بل بالسهر والكد والكفاح ، فاذا كان في

نفوس اولادي ما يؤهلهم للمجد فسيظفرون به ولو وقف العالم في طريقهم ، والا فلن يرتفع لهم شأن ولو وضعت في يدهم زمام الناس جميعاً .

ابو الحسن ـ يبدو لي اننا لن نصل الى اتفاق في الرأي حاسم ، فلنرجىء هذا البحث الى فرصة اخرى فقد يهديني التفكير او يهديك الى نتيجة نلتقي عندها . الى الملتقى ايها الامير .

موسى ـ رافقتك السلامة يا ابا الحسن (يخرج ابو الحسن فيشيعه موسى الى الباب) .

(ينزل الستار)

الفصل الثاني

المكان :

(مضرب طارق في الجزيرة الخضراء)

طارق — عبد العزيز

عبد العزيز ـ ها قد مضت أيام على وصولنا الى شواطىء الأندلس والجند في شوق الى ملاقاة الأعداء ، أفلا يرى سيدي القائد ان نشرع بالزحف قبل ان تفتر العزائم وترتخي الهمم وتخبو جذوة الحماسة في الصدور؟

طارق ـ قد تكون على صواب في رأيك ياعبد العزيز ولكني أنتظر عودة رسولنا ، فقد أوفدت الى « تدمير » عامل الأندلس من يعرض عليه تسليم البلاد بشروط تكفل للاندلسيين حريتهم الدينية والشخصية وتطلق يدنا في إدارة البلاد واستثمار مواردها بالاشتراك مع أبنائها وتدبير شؤونها العسكرية والسياسية على النحو الذي نريد . فاذا أذعن حقنّا دماء رجالنا ووفرنا عليهم أهوال القتال ومهالكه ، وإذا أبى الا ان يركب رأسه ركبنا الى غايتنا سبيل البطش والشدة .

عبد العزيز ـ ومن هو الرسول الذي تنتظر ؟

طارق ـ هو ابو ليلى التغلبي ، وقد إخترته لهذه المهمة لأنه عاش ردحا من الزمن في بلاد الأندلس فهو يحسن لغتها كأفصح أبنائهـا ويعرف أخلاق أهلها وطباعهم ، وقد خالط عاملها « تدمير » وسـبر أغواره فلا يصعب عليه ـ اذا دعت الحاجة ـ ان يتملص من حيله وحبائله . (يلتفت الى الخارج) هـا هو مقبل فلنر ماذا يحمل . (يدخل أبو ليلى) .

ابو ليلى ـ السلام على سيدي .

طارق ـ أهلا بك ياأبا ليلى ، نحن في انتظارك علىأحر من الجمر .

ابو ليلى ـ يسوءني ياسيدي القـائد أن أعلن لك فشلي . ولا أكتمك اني لم أكن أتوقع إلا هذه النتيجة .فليس « تدمير » بالرجل الذي يهون عنده عار الاستسلام .

طارق ـ وماذا جرى بينكما ؟

ابو ليلى ـ لقد قابلته ساعة وصولي وعرضت عليـه شروطك وزينت له الرضوخ لأمرك ، وأدخلت في روعه اننا زاحفون بجيوش لا قِبَل له بصدها فتظاهر بالاطمئنان ووعـدني بأنه سيتحدث الى رجاله ويحملهم على الاذعان لئلا تُلقى تبعة الاستسلام على عاتقه وحده ، وفي اليوم التالي إستطلعته عزمه فطيب خاطري وزعم انه مايزال يواصل السعي لاقناع فئة من رجاله تمردت على الشروط ، فلم أثق بما زعم ولكني لم أبد له قلقي لئـلا يفسد علي خطتي . وفي اليوم نفسه علمت أنه يعد العدة لمجابهة زحفنـا وانه بعث الى « لزريق »

يستنجده ويستثير حميته فثبت عندي انه إنما كان يماطلني بالجواب لكي يتسع له الوقت لتجييش الجيوش وتجهيز اسباب المقاومة .

عبدالعزيز ـ ولكن ألم يكن على خلاف دائم مع لزريق ؟ لقد شق عليه عصا الطاعة اكثر من مرة وصارحه بعزمه على فصل الأندلس عن جسم الدولة ، فكيف يفزع اليه الآن ويسأله النجدة ؟

ابو ليلى ـ انا من اعرف الناس «بتدمير» واخبرهم بدخائل نفسه . انه رجل مكر ودهاء فهو يتهدد لزريق ويلوّح له بالانفصال لكي يتقي جانبه ويفسح له مجال السيطرة ، اما ان يقرن قوله بالعمل فضربٌ من المستحيل لأنه يضّم الى مكره وذكائه عزةً نفسيةً تسمو به عن مهاوي العار والهوان وغيرةً قوميةً تقيه مزالق المروق والخيانة.

عبدالعزيز ـ حُييتَ يا تدمير وبورك البطن الذي حملك . اما والله لولا ان تفرق بيننا المصالح والأهداف فتضعه في ميدان وتضعني في ميدان لسعيتُ اليه وطبعتُ ما بين عينيه قبلة اعجاب واكبار .

طارق ـ احسنت ياعبد العزيز ، فلا يعرف قدر الرجل الا الرجل .

عبدالعزيز ـ لقد خرجنا عمّا كنّا فيه وقطعنا على ابي ليلى مجرى الحديث .

طارق ـ هات يا ابا ليلى بقية الخبر .

ابو ليلى ـ قلت ان «تدمير» ارسل يستنجد مليكه ، فعقدتُ النية على الفرار في أول فرصة . وليس من شك في أنه احسّ بعزمي فبث حولي العيون والارصاد ولكني استطعت أن افلت من حبائله واعود على اعقابي .

عبدالعزيز ـ وهل كان ينوي بك شراً ؟

ابو ليلى ـ لا احسب الا انه كان يريد كسب الوقت كما اسلفت .

طارق ـ وهل لباءة لزريق ؟

ابو ليلى ـ ذلك ما لم اقف عليه ، ولكن اذا لم يكن قد استجاب له البارحة فلا مهرب له من تلبيته اليوم أو غداً أو بعد غد .

طارق ـ وهل رأيتَ في رجال « تدمير » تأييداً لفكرة المقاومة ؟

ابو ليلى ـ قد يكون بينهم انهزاميون يرون السلامة في الاستسلام ويتمنون لو جنّب البلاد شر القتال ، ولكن ليس فيهم من يجرؤ على مخالفة رأيه ، ان « تدمير » رجل ثابت العقيدة صلب العود لا يستوحي الا مصلحة قومه وبلاده فهو يرى ان التعريض بآرائه ضرب من الخيانة وتواطؤ على الوطن يستحق الموت .

طارق ـ وهل تعرف عدد الجيش الذي يمكن ان يجهزّه ؟

ابو ليلى ـ ذلك يخرج عن طاقتي ، ولكني اقدر انه يتجاوز ضعفي عددنا ، واذا اضفنا اليه مايمكن ان يمده بهلزريق بلغ خمسة اضعافنا اويزيد

طارق ـ كنتُ احسب ان عددهم اضخم بكثير مما ذكرت ، اما وهم يجابهوننا خمسة لواحد فقد توطد ايماني بالنصر وزالت اسباب الشك والتردد . ان الله لا يخذل من عوّل عليه وحارب لاعـــلاء كلمته (يدخل سعد) .

سعد ـ في الباب رجل يطلب مقابلة سيدي القائد .

طارق ـ دعه يدخل . (يخرج سعد ثم يدخل خليان بزيه الاسباني) .

خليان ـ السلام على الاصدقاء

طارق ـ وعليك السلام . من الرجل وما حاجتك ؟

خليان ـ يقودني اليك يا طارق غرض يهمّك ، لا اظن انه يخطر لك في بال .

طارق ـ هاتِ ما عندك .

خليان ـ انا آتٍ لاحارب في جيشكم وادلكم على مسارب بلادي ومسالكها .

طارق ـ (بشيء من الدهشة) ماذا تقول ؟

خليان ـ اقول اني آتٍ لاخون وطني واتجسس على قومي .

عبدالعزيز ـ (يتفرّس في وجهه) ليس هذا الوجه بغريب عليّ . يخال لي اني اعرفك .

خليان ـ نعم يا عبد العزيز ، ان الوجه لم يتغيّر ولكن صاحبه هو الذي تغيّر .

عبدالعزيز ـ او لستَ الرجل الذي استغاث بي في المغرب ؟

خليان ـ هو نفسه ولكن شتان بين حالة وحالة . ان البواعث التي تدفعني اليكم الآن هي غير البواعث التي حملتني اليك هناك .

عبدالعزيز ـ لقد خدعتنا مرة ولكنك لن تخدعنا مرتين .

خليان ـ انا لا انكر اني خدعتك يومئذٍ ولكني كنت قرير العين رضيّ البال لأني كنتُ اخدم قضية بلادي . امّا الآن ... (يسكت لحظة ليكفكف دمعة تحدرت من جفنه) .

عبدالعزيز ـ لا يمكننا ان نثق برجل يخون بلاده .

خليان ـ (بشيء من الحدة) ولكنه يخونها ليثأر لشرفه المثلوم وقلبه الجريح

طارق ـ الم تجدْ غير هذه الوسيلة ؟

خليان ـ لم يهدني الغضب الى افضل منها . اسمع يا طارق ، انا رجلٌ من اشراف اسبانيا يعرفني الناس باسم الامير خليان ، قضيتُ حياتي في خدمة « لزريق » وتعرّضتُ للمهالك في سبيله . حاربتُ لاجله الناس وحاربني الناس . على اكتافي صعد الى العرش وبصدري تدرّع للنبال ، فهل تدري بماذا كافأني ؟ كان لي في بلاطه ابنة ذات جمال يزينها ادب وعفاف ، فوقعتْ من قلبه ، وحدثته نفسه بما وسوس لنفسه الشيطان . فصدّته بأدب وكبرياء ، فلمّا يئس من إغوائها باللين نال منها بالقوة .

طارق ـ يا للفاجر !

خليان ـ وعادت ابنتي الى البيت حزينة كئيبة ، وقد اصيبتْ في شرفها وكتمتْ عن امها الخبر ، حتى اذا انتصف الليل عمدت الى الخنجر فاغمدته في احشائها لتغسل بدمها ما لحقها من عار وهوان . وقد تركتْ لأمها رسالة تشرح فيها تفاصيل الحادث وتستحلفني ان انتقم ممّن مرّغها بالفضيحة ودفعها الى الموت .

عبدالعزيز ـ (بهزء) ما اشبه اسطورتك اليوم باسطورتك الامس .

طارق ـ (يأخذه على حدة) لاتقسُ عليه يا عبد العزيز يتراءى لي ان الرجل صادق فيما يقول ، فلا تزدْ في آلامه ولا تهزأ ببلواه .

خليان ـ وكنتُ انا في اثناء ذلك اتجسس له في بلادكم واتسقط اخباركم ، فلمّا بلغني انكم عازمون على اجتياحنا واطلعتُ بواسطة سلمان على مادار بينكم في هذا الشأن طرتُ الى بلادي لأطلع لزريق

على واقعة الحال ونتعاون على دفـــع الخطر ، ففوجئتُ وانا على الشاطيء بالنبأ الاليم ، فثارت في نفسي ثائرة الغضب الاعمى وبلغ مني اليأس الغاية التي ما وراءها غاية ، فحملت جرحي الى مكان معتزل و كتمت خبري عن الناس ،ولبثت انتظر قدومكم لانضم الى صفوفكم وأرفه عن نفسي سورة يأسها وغضبها .

عبد العزيز ـ أولم يخزِك ضميرك وانت تقدم على هذا العمل ؟

خليان ـ لا انكر عليك ياعبد العزيز اني ترددتُ قبل ان تحملني قدمي اليكم واشتبكتُ مع نفسي في صراع داخلي عنيف ، ولكن صوت الواجب القومي ما لبث ان اختنق امام صرخة الكرامة الموتورة . (يطرق لحظة) وها انا الآن امامكم اعرض عليكم خدمـاتي لا اريد عليها اجراً ولاشكوراً ، ولا اتقاضاكم الا شرطاً واحداً .

طارق ـ وما هو ؟

خليان ـ ان تسلموني لزريق اذا وقع في قبضتكم حياً .

طارق ـ دعنا نتحدث في شأنك لحظة . (ينادي) سعد !

سعد ـ (يدخل) سيدي .

طارق ـ خذ هذا الرجل وقم على حراسته حتى ادعوك .

سعد ـ امرك سيدي .

عبد العزيز ـ كن عيوناً عليه واحذر ان تأخذك في امره غفلة .

سعد ـ سمعاً وطاعة . (يخرج سعد وخليان)

طارق ـ يلوح لي اننا نستطيع الاعتماد على هـذا الرجل فهو يصدر عن

عاطفة مجروحة وكرامة مهدورة وكبرياء وضعها فجور لزريق
موضع الذل والهوان .

عبدالعزيز ـ اخشى ان يخدعنا مرة اخرى ويكون جاسوساً علينا لا لنا .

طارق ـ سنترصد حركاته وسكناته فاذا كان صادقاً فيما يقول فلا شك انه
يفيدنا ويخدمنا ، واذا ظهر منه ما يدعو الى الريبة لقي جزاءه
قبل ان يستفحل خطره وانتهى الأمر .

أبو ليلى ـ سمعتُ بقصة لزريق مع الفتاة وانا في طريقي الى « تدمير » فاذا
كنتما على ثقة بان هذا الرجل هو خليان نفسه زالت دواعي الشك
والحذر وكان لنا نعم الدليل .

طارق ـ انا لا اذكر اني رأيت خليان في حياتي .

عبدالعزيز ـ ولا انا اعرفه . ان هذا الرجل لجأ اليّ في المغرب زاعماً انه
فارسي شريد ، ثم رحل بعد ثلاثة ايام الى حيث لا ادري .
ولكني لم اتحقق شخصيته ولا اعرتُ الحادث شيئاً من اهتمامي .

طارق ـ (ينادي) سعد ! ائتني بالرجل (يدخل خليان) هل تستطيع
ايها الرجل ان تثبت لنا انك خليان نفسه لا رجل آخر يستغل
مصابه ليحتال علينا ويحمل الى لزريق اخبارنا واسرارنا ؟

خليان ـ ليس في متناول يدي الآن ما يثبت صحة قولي ولكني استطيع
ان آتيكم بما تريدون من البينّات والشهود اذا افسحتم لي المجال
(يدخل سعد) .

سعد ـ سيدي ، في الباب رسول من ملك الاسبان .

طارق ـ دعه يدخل (يدخل الرسول فيتنحى خليان بحيث لا يراه).

الرسول ـ السلام على الرجال . وبعد فيقول لكم مولاي لزريق ان الهوس قد اوردكم موارد الهلاك وان الطمع قد فتح امامكم هوة بعيدة القرار لا منقذ لكم منها ، ولكنه يريد ان يفسح لكم مجال التكفير عن هفوتكم والتراجع عن عنادكم ، فهو يشير عليكم بأن ترحلوا عنا وتعودوا على اعقابكم وتكتفوا من الغنيمة بالنجاة . فاذا اذعنتم لامره فهو على استعداد لأن يغتفر اساءتكم ويمد لكم يد الصداقة والمودة ، بل سيذهب الى ابعد حدود الحلم والسماحة فيتنازل الى التفاهم معكم على عهد تضع شروطه فئة مشتركة منا ومنكم ويعود بالخير علينا وعليكم . واذا رفضتم اقتراحه وابطركم حلمه اضطر الى صد جرأتكم بالسيف واراكم من بطشه وجبروته ما لا يخطر لكم في بال ، وتناولكم من غضبه ما يجعلكم تأكلون انامكم ندماً ساعة لا يجدي ندم .

طارق ـ قل لمولاك اننا لا نبالي بجحافله مهما تضاخم عددها ولا نعبأ بوعيده مهما طلاه بمظاهر الهول والشدة . اذا كان قد غره اننا نسير اليه بجيش ضئيل العدد قليل السلاح يسير الزاد فليعلم ان لنا من ايماننا بالله وثقتنا بانفسنا ما لا يقف في وجهه الف لزريق .

خليان ـ (يتقدم قليلا) وقل له بلساني ان ساعة الانتقام قد دنت ، فليستعد للموت . ان شرفك يا « فلوروندا » ودمك لن يذهبا هدراً .

الرسول ـ خليان ؟ انت هنا ؟ انت في جيش اعدائنا ؟

خليان ـ وهل كنت تنتظر ان تراني تحت لواء الفاجر الاباحي ؟

الرسول ـ سامحك الله ايها الامير . لقد رفعتَ لزريق الى عرشٍ ليس له ومهدتَ له سبيل السيطرة وخدمته الخدمة المثلى ايام لا يجد حوله الا الدسائس والمؤامرات ، فجازاك بالغدر وقابلك بالمنكر . سامحك الله ايها الأمير . سامحك الله . (يخرج) .

طارق ـ غداً نشرع بالزحف . فاذهب يا أبا ليلى الى الشواطىء واحرق سفننا ثم طف بالجند فبلغهم عزمي ليكونوا على استعداد وقل لهم أن يحتشدوا لألقي عليهم وصيتي قبل الزحف .

ابو ليلى ـ تأمرني ان أحرق سفننا ؟

طارق ـ نعم ان لي من ذلك مأرباً ستدركه بعد قليل عاونه يا عبدالعزيز في عمله .

عبدالعزيز ـ أمرك سيدي (يخرج وأبا ليلى) .

طارق ـ إسمع ياخليان . ان نفسي تحدثني بأنك غير كاذب ولا مخاتل ، فاحرص على ثقتنا واجتهد ان تخلص لنا الخدمة . ان أقل ريبة تداخلنا في أمرك تجر عليك الوبال ، وقد تكلفك رأسك .

خليان ـ ليطئمن بالك ايها القائد ، فلن ترى مني إلا مايرضيك ويقر عينك.

(يشرف طارق على جنوده وقد تعالى هتافهم بحياته ويلقي خطبته التاريخية) .

طارق ـ ايها الناس ، اين المفرّ . البحر من ورائكم والعدوّ امامكم وليس لكم والله الاّ الصدق والصبر . واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الايتام في مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة ، وانتم لا وزر لكم الاّ سيوفكم ، ولا اقوات الاّ ما تستخلصونه من ايدي عدوكم . وان امتدتْ بكم

الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها عنكم الجرأة عليكم . فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد القت به اليكم مدينته الحصينة ، وان انتهاز الفرص فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم بالموت . واني لم احذركم امراً انا عنه بنجوة ، ولم احملكم خطة ارخص متاع فيها النفوس الا ابدأ بنفسي ، واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا استمتعتم بالارفه طويلا . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي . وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميمة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة ابطالاً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجادلة الابطال والفرسان وليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولي انجادكم على مايكون لكم ذكراً في الدارين ، واعلموا اني أول مجيب الى مادعوتكم اليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لزريق فقاتله ان شاء الله تعالى . فاحملوا معي فان هلكتُ بعده فقد كفيتم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون اموركم اليه . وان هلكتُ قبل وصولي اليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله .

(يستمر هتاف الجند بينما ينزل الستار)

الفصل الثالث

المكان : ديوان الامارة في الأندلس

موسى ـ ابو الحسن

موسى ـ لقد ضاق ذرعي بطارق يا أبا الحسن ونفد صبري ، فان اسمه يكاد يطغى على اسمي وشهرته توشك ان تبتلع شهرتي . لا تُذكر وقعة كُتب فيها النصر لجيوش المسلمين الا نُسب النصر اليه ، ولا يدخل بلداً الا اشرأبت اليه الاعناق واحاطت به القلوب ، واخشى اذا انا عزلته من القيادة ان اثير عليّ غضب الجيش وابوء بنقمته ، فليس في رجالنا من يبخل عليه بنفسه ، ولقد فكرتُ طويلاً في التخلّص من هذا الكابوس الثقيل فلم يهدني التفكير الى وسيلة اطمئن اليها .

ابو الحسن ـ الم احذّرك من هذه العاقبة ايها الامير واظهر لك مغبّة خطئك يوم كان امر طارق في يدك ؟ لقد ظننتَ يومذاك اني اخدعك واسيء اليك النصح واني اغتاب طارقاً لعداوة بيني وبينه . فهل ثبتَ عندك اني لم اكنْ اريد بك الاّ خيراً وان نصائحي لم تكن صادرةً الاّ عمّا اضمر لك من الاخلاص والوفاء والاحترام ؟

موسى — صدقتَ يا أبا الحسن . لو سمعتُ لك آنذاك لما رأيتني في هـــذا المأزق . ليتني عملت برأيك . ولكن ليس هذا وقت الندم . يجب ان اتخلص من طارق مهما كلفني الامر .

ابو الحسن — ولماذا لا تكتب الى الخليفــة تحمله على عزله فتأمن غضب الجيش وتدرأ عن نفسك عبءالمسؤولية؟ ان امير المؤمنين يجلك ويقدرك فهل تراه يخيب لك رجاءً ؟

موسى — عبثاً اعقد على الخليفة املًا ، فقد خطر لي هذا الخاطر منذ وطأت قدماي ارض الاندلس فكتبت اليه اكثر من مرة ادس على طارق واعرّض بسيرته وازعم انــه يسوق الجند الى مهالك لا طائل وراءها ، واشير عليه بأن مصلحة الدولة والفتح تقضي باستدعائه واقصائه عن القيادة، ولكن الخليفة لم يعرْني اذناً صاغية ومايبرح حتى الآن يماطلني بالجواب .

ابو الحسن — لديك سبيل آخر يمكنك ان تسلكه ، فاذا لم يُفضِ الى الغاية ، بحثنا عن غيره .

موسى — وما هو ؟

ابو الحسن — اطلق ابواق السوء تشوّه سمعته بـــين الناس وتحط اسمه بالتهم والاراجيف وتنشر حوله الاشاعات والأقاويل، فقد يخذله الجيش ويتفرق من حوله الانصار .

موسى — ذلك باب من المستحيل ، فليس في الجيش، كما قلتُ، من يهتم بمقالة سوء تُوجّه الى قائده . هــذا سلاح لا يجدينا . (يطرق قليلا)

اعتقد اني اهتديتُ الى وسيلة مأمونة العواقب . سأكرهه على الاعتزال من تلقاء نفسه .

ابو الحسن ـ تكرهه على الأعتزال مختاراً ؛ وكيف ذلك ؟

موسى ـ سأجرحه في كبريائه . واوهمه اني ارتاب في اخلاصه . وازعم ان هذه الريبة هي صدى مايتهامس به الناس . فلا يرى وقتئذ الا الاعتزال سبيلاً الى انقاذ شرفه .

ابو الحسن ـ لا أرى الأمر يسيراً كما تتوهم ، فقد يخبر الجيش بما فعلت فنبوء بالفشل والخذلان ويعود سلاحنا الى نحرنا .

موسى ـ لن يفعل . ان طارقاً ، على كرهي له ، لأعقل من ان يلجأ الى هذا السلاح واكبر . لقد وضع مصلحة الأمة نصب عينيه ورفعها على مصلحته فهو يضحي بنفسه سعيداً اذا تراءى له انه عثرة في سبيلها .

ابو الحسن ـ الا تزال تحسن به الظن ؟

موسى ـ لا يمنعنا الغرض من الأعتراف بالحق بيننا وبين انفسنا . ان طارقاً رجل شرف ومروءة . وأنا أعلم والله اني أظلمه وافتئت عليه واقابله بالكفر والعقوق . ولكن ما العمل ؟ لقد وضعه القدر في طريقي . وقد يكون القدر هو الذي يملي علي ما افعل لكي ينحّيه عن طريقي . (يطرق قليلاً) لا تستطيع الأندلس أن تحمل عظيمين : امّا انا واما هو . سعد (يدخل سعد) ادع لي طارقاً .

ابو الحسن ـ هل يرى سيدي الأمير من داع لبقائي ؟

موسى ـ نعم . يجب ان تبقى . فأنا لا أعرف كيف أقابل هذا الرجل واصدمه

هذه الصدمة وقد قهر لزريق وضفر على رأس العرب والأسلام اكاليل الغار والمجد .

ابو الحسن ـ اذا رأى سيدي ، فأنا أذهب بنفسي الى أمير المؤمنين وأشرح له واقع الحال واقنعه بأن بقاء طارق في مركزه خطرٌ على الدولة .

موسى ـ لن تعود الا بالخذلان . ان مكانة طارق في نفس الخليفة لا يمكن ان تتزعزع . (يدخل عبد العزيز)

عبد العزيز ـ السلام على سيدي الوالد . مالي أراك منقبضاً مضطرب الأعصاب؟

موسى ـ لا شيء ياولدي . صداع خفيف المّ برأسي لا أخاله الا مفارقني الساعة . هل من جديد ؟

عبد العزيز ـ بلغني أن شراذم من الأسبان قد تمردوا ولجأوا الى بعض الجبال حيث يعملون على استجماع قوامم وضمّ فلولهم . فاذا رأى سيدي الوالد سار طارق في طلبهم قبل أن يشتدّ ساعدهم ويستفحل أمرهم . فان اسمه وحده كافٍ لأن يردعهم عن غيّهم ويعيدهم الى حظيرة الطـاعة .

موسى ـ طارق . طارق . دائمـاً طارق . أو لا يستطيع غيره أن يقوم مقامـــه ؟

عبد العزيز ـ لم يفشل طارق في معركة خاضها . فهل يستطيع سيدي أن يدلني على رجل قاد جيوشه الى سلسلة من الانتصارات لم تشوهها هزيمة او يشبهْا فشل ؟

موسى ـ ان صداقتك لطارق هي التي تكفّ نظرك عن عيوبه .

عبدالعزيز ـ لا ياوالدي ، أنا لا اذهب مع الهوى ولا امتدح طارقاً اندفاعاً مع العاطفة ، وانما هو العدل والانصاف . وانه لمما يدهشني والله أن أرى موسى بن نصير يعرّض برجل وقف يده وقلبه وعقله على خدمة العرب وتعزيز شأنهم ونشر سلطانهم في الشرق والغرب والبر والبحر .

موسى ـ ولكنه سلك الى غايته سبلاً بعضها شريف وبعضها غير شريف .

عبدالعزيز ـ لم يسلك ،فيما اعلم، الا ّسبل الشرف والبطولة .

طارق ـ أو لم يتخذ الأمير خليان دليلا له وجاسوساً ويقدّمه على الكثيرين من رجاله ؟

عبدالعزيز ـ لقد قضت مصلحة الفتح أن يستخدم هذا الرجل . وهل يحطّ ذلك من شأنه ؟ ان خليان قدم نفسه بملء اختياره. لاسباب لا اخالك تجهلها . واخلص لنا الخدمة ووفـّر علينا دماً وأرواحاً . امّا انه قدمه على رجاله فتهمة ٌ لا يقوم عليها دليل .ولا اظنّها الا ّمدسوسة ً عليه دسّاً ممن حال دون اطماعهم . فقد منع طارق رجاله من اتخاذ الفتح وسيلة ً للكسب الحرام . واشتد على من حدثته نفسه بتشويه سمعة العرب والاسلام .

أبوالحسن ـ ولكن ،ألم يكن له مأرب ٌ آخر يتـّصل بشقيقة خليان ؟

عبدالعزيز ـ خسئت َ أيها الثعلب . ان لطارق من نبله وشرفه مـا يسمو به عن هذه المثالب . ووالله لولا أنك بين يدي والدي لدفعت َ غالياً ثمن هذه الوقاحة .

أبوالحسن ـ خفف من حدتك ياسيّدي وثب الى الرشد . انا لم أقـــل الا ّ
مايدور على الألسنة ويتناقله الناس في مجالسهم .

عبدالعزيز ـ لقد اضفتَ الى وقاحة الافتئات جريمة التزوير . هل تستطيع أن
تأتيني برجل واحد يؤيّد ماتزعم ؟

أبوالحسن ـ لولا أن يعقد الخوف الألسنة لأتيتُ لك بمن تريد .

عبدالعزيز ـ كذبٌ وافتراء . ان هؤلاء الناس الا ّ في ثنايا أوهامك الموبوءة
ومطاوي نفسك المطبوعة على الخسّة والرذيلة . وهبْ انهـــم
موجودون في عالم الحقيقة فان خوفهم دليلٌ على شعورهم بكذب
مايتقوّلون .

موسى ـ حسبك ياعبد العزيز لقد قسوتَ على أبي الحسن وهو من تعرف في
نفسي ، ولم ترعَ حرمة الصداقة بيننا . وما كنتُ لأغتفرَ لك هذه
الجرأة لولا علمي انك لاتدافع عن طارقٍ بقدر ماتدافع عن المهمة
التي القيتْ على عاتق طارق .

عبدالعزيز ـ لا ياوالدي ، أنا لاأحارب الا ّ باطلا يحاول أن يتلبّس لباس الحق
ولا ادفع الا ّ ضلالاً يريد ان يتزيّن بالهدى .

أبوالحسن ـ يسوؤني ان اثرتك . ولو كنتُ اعلم انّك ستسيء فيّ الظـــن
لفضّلتُ السكوت . ولكن لابأس . ستظهر لك الايام اني لم
اكذب ولم افترِ (يخرج)

عبدالعزيز ـ اذهب لارعاك الله ايها الضّال ولا سدّد خطاك .

موسى ـ هدّىء من روعك يا عبد العزيز واجلس ، فان لي اليك حديثاً .

عبدالعزيز ـ انا بين يديك .

موسى ـ قد يكون كلام ابي الحسن غير قائم على برهان. ولكن انستطيع ان تنكر ان طارقاً عصى ارادتي حين ارسلتُ اليه من المغرب آمره ان يتوقف عن الزحف ريثما آتي لنجدته ؟

عبدالعزيز ـ ولكنه استشار رجاله قبل ان يعصاك فرأوا ان الاذعان لامرك يفسح للاعداء فرصة ثمينة لضّم ما تصدّع من قواهم وما تفرّق من فلولهم .

موسى ـ وهل كنت فيمن استشارهم ؟

عبدالعزيز ـ نعم يا والدي ، ولا اكتمك اني كنت اول من عارض رأيـك وألح على طارق بمواصلة الزحف .

موسى ـ انت ياعبد العزيز ، انت ياولدي ؟

عبدالعزيز ـ ان مصلحة الأمة طغتْ في نفسي على كل اعتبار آخر . وثق ياوالدي انك لو كنت حاضراً لما رأيت مني الا ّ ما فعلتُ وانت غائب .

موسى ـ ابيلغ بك العقوق هذا الحد ؟

عبدالعزيز ـ ليس هذا بعقوق ، وانما هو شكل من اشكال الحب البنوي . واذا كنت تأبى الا ّ ان تنظر اليه بهذه العين ، فانا فخورٌ باني اعق ابي لأكون ابناً براً بأمتي .

موسى ـ لقد خاب فيك رجائي يا عبد العزيز وطاش سهمي . لقد كنت احسب انك درعي في الملمات وسيفي الذي لا ينبو .

عبدالعزيز ـ لم يخب ظنك يا ابي . فانا احبك واجلّك كأخلص مايحبّ ابن اباه ويجلّه . ولكن هذه العاطفة تأبى عليّ ان اجاريك في خطئك واجاملك فيما يخص شؤون الامة .

موسى ـ انا اكبر فيك هذا الشعور . ولكني مقتنع بان طارقاً سكر بخمرة الشهرة فبطر وازدهى . واصارحك باني عــازم على عزله بالتي هي احسن . فاذا ابى اضطررت الى استعمال الشدة .

عبدالعزيز ـ ماذا تقول ؟ أفكرت في خطر هذه الخطوة ؟

موسى ـ لقد قلبت الأمر على جميع وجوهه فثبت عندي ان الواجب يقضي بأن أقدم.

عبدالعزيز ـ أتنسى ياأبي ان طارقاً هو الذي قهر لزريق وأخضــع الأندلس ونشر في آفاقها علم العرب .

موسى ـ أتخويف هذا أم تهديد ؟

عبدالعزيز ـ لا هذا ولا ذاك . وإنما هو تذكير بما فعله هذا الرجل وما أدى من خدمات . فكيف يقرك ضميرك على مقابلته بهذه الصفعة؟

موسى ـ لقد كفر بنعمتي فيجب أن يلقى جزاء كفرانه .

عبدالعزيز ـ أنت واهم ياأبي . فان طارقاً مخلص لك أطهر الاخلاص. وقــد كاشفني اكثر من مرة بما يضمر لك من المحبة والاحترام . فحكم في الأمر عقلك وضميرك ولا تلتفت الى مايدسه عقــارب السوء . لا تأخذ الرجل بذنب لم يقترفه .

موسى ـ لقد عقدت النية ياعبد العزيز فلاتحاول المستحيل . ان طارقاً وقف في طريقي . فأما ان يتنحى وإما أن أدوسه . أنا لاأرضى بان ينازعني المجد والشهرة رجل ولو كان الوليد نفسه .

عبدالعزيز ـ لاتندفع مع ثورتك ياوالدي . واعلم انك لاتسيء الى طـارق

بقدر ماتسيء الى الامانـة التي وضعها الوليد ووضعتها الأمـة في عنقك . لقد قهرنا الأعداء بقواتنا الضئيلة لاختلاف كلمتهم وتنافس ولاتهم وتقديمهم مصلحة الفرد على مصلحة المجتمع . فـلا تضع في يدهم هذا السلاح فيقهرونا كما قهرناهم . نحن الآن أحوج مانكون الى ضم الصفوف وتوحيد الرأي فان أمرنا لم يستقم بعد ، والأعداء واقفون لنا بالمرصاد . يتربصون بنا الدوائر للانقضاض علينا وردنا على أعقابنا . فهل يرضيك ياوالدي ان تمشي الى غرضك على آمال أمة بكاملهـا وتهدم صرحاً ممرداً جبلت ترابه بدمائها ودموعها ؟

موسى ـ حسبك ياعبد العزيز ، حسبك يابني .

عبدالعزيز ـ أيرضيك ياأبي ان يقول التاريخ لولا أنانية موسى بن نصير لكان للعرب في الأندلس دولة عزيزة الجانب مترامية الأطراف وحضارة تغمر الارض بالنور واليمن والسلام .

موسى ـ أأهون عندك الى هذا الحد ؟

عبدالعزيز ـ لاياوالدي . ان خوفي على اسمك وسمعتـك هو الذي يدفعني الى ماأقول . واذا اشتددت عليك فلأني أخشى ان تنقـاد الى دعـاة السوء فيصبح إسمك مضغة في الأفواه وهـدفاً لغضب الأجيال القادمة . أنت ياأبي أول من فكر في ضم الأندلس الى ظل الدولة العربية . وكان لك الفضل الأكبر في إعداد العدة وتجييش الجيوش لهذا العمل العظيم . فكيف تهدم في ساعـة ماأنفقت عليه الشهور وسهرت الليالي وتعرضت في سبيله لكل أنواع المخاطر ؟

موسى ـ ولكن طارقاً جنى ثمرة كفاحي .

عبدالعزيز ـ ليس طارق إلا جندياً من جنودك ، فالمجد الذي يحرزه عائدإليك ، والشرف الذي يكتسبه يُضاف الى حسابك لأنك أنتَ الذي وضعته في القيادة ورسمتَ له خطة الحملة . ان هذا الرجل الذي اوغرك الوشاة عليه أبعد الناس عن منافستك والاستطالة عليك . وثق يا أبي أني لو توسمتُ منه شيئاً مما في وهمك لكنت اغضب من يغضب لشرفك وأول من ينافشه الحساب . ان طارقاً حسنةٌ من حسناتك فكيف تتنكر له وتنفض يدك منه ؟

موسى ـ (يطرق) افحمتَني يا عبد العزيز وغللت يدي . وأحمد الله ان أرسلك اليَّ لتهدي خطاي الى طريق الحق وتغسل صدري مما كان فيه من ادران .

عبدالعزيز ـ أبي (يتعانقان) .

موسى ـ ولدي ! ـ (يدخل طارق) .

طارق ـ السلام على سيدي الأمير مرحباً عبد العزيز .

موسى ـ أهلاً بالبطل الفاتح .

عبدالعزيز ـ مرحباً سيدي القائد .

موسى ـ دعوتك لشأن هام ياطارق . أنا أعرف أنك بحاجة الى الراحة فقد نالت منك الفتوحات المتواصلة وأضناك الوثوب الدائم من ميدان الى ميدان ، ولكن على من نعوّل اذا لم تكنْ أنتَ معقدالأمل وموضع الثقة ؟

طارق ــ أنا رهن أمرك أيها الأمير وراحتي منوطةٌ برضاك .

موسى ــ بوركت ياطارق وقبّح شانيك . أنا فخورٌ باختياري اياك للقيادة ، فقد أحسنت الخدمة وأديتَ الأمانة وبيّضتَ وجه الأمة التي وضعتْ في يدك أمرها .

طارق ــ لم اقمْ الاّ بواجبي . واذا كان قد حالفني النصر فالفضل عائد اليك ، لأنك أنت الذي علّمتني ضروب البأس والاقدام ولقنتني دروس الحرب والقتال ، ولكن هل لسيدي الأمير أن يطلعني على مادعاني لأجله ؟

موسى ــ اسمع ياطارق . ان شوكة الأعداء لم تنكسر بعد ، فقد لجأت شراذم منهم الى الجبال واعلنوا راية العصيان فرأيتُ أن ارسلك في طلبهم واكل اليك أمر تأديبهم .

طارق ــ ليس لجندي ، ان يخالف لسيده أمراً .

موسى ــ كنت أريد أن أعهد الى غيرك بهذه المهمة لكي تستريح قليلاً من عناء القتال ولكن عبد العزيز مازال بي حتى أقنعني بان راحة الأمة تقضي بأن يتعب طارق .

طارق ــ لولا ان أتهم بالغرور لقلت أحسن عبد العزيز لأنه يتيح لي فرصة جديدة لخدمة مولاي الأمير وتعزيز كلمة امتي . انا ذاهب الساعة لتجهيز وسائل القتال وفي الغد نسير اليهم إن شاء الله . (يهم بالخروج فيستوقفه موسى) .

موسى ــ طارق !

طارق ــ سيدي

موسى ـ لا أريد ان تذهب قبل ان أطلعك على ما كان في نفسي منك . وما كنت لأجرؤ على مكاشفتك به لولا علمي بما فطرت عليه من كرم النفس وسماحة الخلق ، ولولا إعتقادي ان الاعتراف بالخطأ يمحو الخطأ .

طارق ـ يسرني أيها الأمير ان تصارحني بأفكارك ، فقد أكون انا المخطىء . هل بدا لك مني مايدعو الى الريبة ؟

موسى ـ يشهد الله ياطارق اني لم أشك يوماً باخلاصك ولا ساورتني ريبة بأمانتك ، ولكن عقارب السوء مافتأت تنفث سمها حتى أوغرت صدري عليك ففكرت في عزلك . ولا أكتمك ان مجيئي من المغرب لم يكن إلا لهذا الغرض . ولما رأيت ان عزلك قد يجر علي متاعب ومشاكل لا قبل لي بتذليلها كتبت الى الخليفة أستحثه على ذلك . وأحمد الله على ان الخليفة لم يعرني أذنا صاغية

طارق ـ وما الذي حولك عن عزمك ؟

موسى ـ هذا الواقف الى جانبك . فقد دخل علي وانا أفكر في مجابهتك بما يحملك على الاعتزال لتنقذ شرفك وسمعتك من حملات الباطل وأقاويل الزور ، فبحت له بما يجول في خاطري فاستنكر عملي وما زال يقرعني بالحق ويجبهني بالحجة حتى جعلني أذوب خجلاً مما كان في نفسي وأعض أناملي على ما كان مني امام أمير المؤمنين . وها انا أعلن لك خطأي وندامتي مرة اخرى وأسألك ان تقضي بما تمليه عليك شمائلك وهذي يدي على أن أكفر مما سلف وأخلص لك في السر والعلن .

طارق ـ (يصافحه) يشهد الله ايها الامير اني لا أضمر لك إلا أصدق عواطف الحب والاكبار . وها أنا أجدد عهدي بأن أبقى لك الخادم الأمين والجندي المخلص . (يدخل سعد)

سعد ـ سيدي ، في الباب رسول من أمير المؤمنين يحمل رسالتين، واحدة لسيدي الأمير والأخرى لطارق .

موسى ـ دعه يدخل . (يخرج سعد فيدخل الرسول)

الرسول ـ السلام عليكم

موسى ـ وعليك السلام ماوراءك ؟ (يخرج الرسول رسالتين من ثنايا ثوبه يدفع واحدة منها لموسى والاخرى لطارق . فيفض موسى الرسالة ويقرأ بصوت عال .

بسم الله الرحمان الرحيم

من الوليد بن عبد الملك الى موسى بن نصير

أما بعد ،فقد بلغني ان جيوشنا في بلاد الاندلس تسير كالسيل الجارف من بلد الى بلد وان علم الاسلام يخفق في تلك الربوع عزيزاً منيعاً فحياك الله وحيا طارقاً ولقد كنت أريد ان تتما مابدأتما به ولكني رأيت ان استدعيكما لشأن هام أريد ان نتدارسه معاً وقد كتبت الى طارق بما لايخرج عن هذا المعنى ،فاذا وصل رسولي إليك فاختر بالاتفاق مع طارق رجلاً حازماً يتولى زمام الأمر في الأندلس واشخصا معاً إلينا والسلام .

الوليد بن عبد الملك

(يقبل موسى الرسالة ويرفعها الى جبينه ثم يخاطب الرسول) قل لمولانا أمير المؤمنين اننا قادمان اليه على عجل . (يخرج الرسول) سبق السيف العذل ياطارق ، وما اخال الا أن رسائلي الى الخليفة هي التي حملته على استدعائنا خوفاً من أن يقوم بيننا شقاق يؤدي الى تمزيق صفوفنا واضعاف قوانا وبالتـالي الى ضياع الاندلس . هذا ذنبي ياطارق ، فهل ترى أن أذهب اليـه وحدي واصلـح ما أفسدتُ ؟

طارق ـ لايجب أن نعصي أمر أمير المؤمنين ، فقد يكون له غرض آخر.

موسى ـ هذا ما أتمناه . ومن تراه أهلًا لقيادة زمام البلاد مكاننا ؟

طارق ـ وهل لها غير عبد العزيز ؟

موسى ـ ادنُ مني يابنيّ . ان امر هذه البلاد قد أصبح في يدك فاحرص على أن تدير شؤونها بحزم واخلاص .

طارق ـ ليكن العدل رائدك ولا تفرق في الحق بين مسلم وغير مسلم .

عبدالعزيز ـ لن أتبـع إلاّ سبيل الحق ولو كان فيه هلاكي .

موسى ـ بورك فيك ياولدي . هيا بنا ياطارق نبلغ الجند أمر أميرالمؤمنين ونوصيهم بأميرهم الجديد . (يخرجان) .

عبدالعزيز ـ رافقتكما السـلامة . (ينصرف الى مطالعـة كتاب فيدخل عليه سعد) .

سعد ـ في الباب رجل من ابناء هذه البلاد يطلب مقابلة سيدي الامير .

عبدالعزيز ـ ليدخل . (يخرج سعد فيدخل اسباني) .

الاسباني - السلام على الأمير .

عبدالعزيز - وعليك السلام . ما حاجتك ؟

الأسباني - اتسمح لي أيها الأمير أن القي عليك سؤالاً ؟

عبد العزيز - سل ما بدا لك

الأسباني - انتم آتون لتحكموا في رقابنا أم في أموالنا وأعراضنا ؟

عبد العزيز - معاذ الله أن يكون لنا في شؤونكم الخاصة غرض

الأسباني - أسمع اذن . لقد اقتحم عليّ أحد رجالكم حانوتي وحمل منه ما وسعه ثم انصرف دون أن يؤدي ثمن ما احتمل .

عبد العزيز - وهل تعرف اسمه او ما يميّزه ؟

الأسباني - وافق ساعتئذٍ مرور رجل يعرفه فقال لي انه يدعى ... (يبحث في جيوبه ثم يخرج ورقة دوّن فيها الأسم) اسمه زيدون بن ربيعة العامري . وهو الذي أشار عليّ ان اوفع اليك أمره .

عبد العزيز - (بشيء من الغضب) زيدون بن ربيعة العامري ؟ سعد !(يدخل) ادخل لي زيدون بن ربيعة العامري (يخرج سعد) .

الأسباني - يسوءني اني ازعجتك وعكرت عليك سكينتك .

عبد العزيز - ليطمئن بالك ، فقد علمنا اباؤنا وأجدادنا أن الضعيف عندنا قويّ والقويّ ضعيف حتى نأخذ للضعيف حقه من القوي . واذا نحن اوصدنا اسماعنا وقلوبنـــا عن أصوات المظلومين فما الفرق بيننا وبين لزريق ؟

الأسباني - رعى الله الأمير وغمره بالعز والتأييد

عبد العزيز - اصدقني الخبر أيها الرجل ، هل انتم راضون عن حكمنا ؟

الأسباني ـ هل لي أن اتكلّم بحرية ؟

عبد العزيزـ لا أريد غير ذلك.

الأسباني ـ لو لم تكونوا غرباء لكنتم من نعم الله التي لا تجحد .

عبد العزيزـ وما الذي تنكرون من سياستنا ؟

الأسباني ـ لا شيء الا ّأنكم ـ كما قلت ـ دخلاء فاتحون . أيها الأمير ، لقد ذقنا من لزريق الأمرّين ، ولكن جوره على شدّته احبّ الينا من عدلكم ، لأن لا شيء في الوجود يعدل حرية الوطن .

عبد العزيزـ (على حدة) صدقت والله ! ولكنك تعبّر عن رأيك الخاص .

الأسباني ـ لا اكذبك أيها الأمير ان هذا لسان حالنا جميعاً . ولا يمكن ان يشذّ عن القاعدة الا ّخائن أو ذليل . واذا استقام لكم الأمر حيناً فلا بدّ من انتفاضة تعيد الينا نعمة الحرية ، فنحن شعبٌ قد يستكين ولكنه لا يموت (يدخل زيدون بن ربيعة)

زيدون ـ السلام على سيدي الأمير .

عبد العزيزـ (الى زيدون) أتعرف هذا الرجل ؟

زيدون ـ لا اذكر اني رأيته قبل الآن .

عبد العزيزـ (يهزّه من صدره بعنف) اتدفعك الوقاحة الى الانكار ؟

زيدون ـ (يجثو على ركبتيه) رحماك سيدي !

عبد العزيزـ ما الذي حملك على ذلك وقـــد منعكم اولياء امركم من ترويع الآمنين ونهوكم عمّا يخالف مبادىء الشرف والفضيلة . أتريد ان يُفتتح تاريخ الأندلس بهذه الصفحة السوداء لتملأ بطنك وتغنم عرَضاً زائلاً من اعراض الدنيا ؟ الهذه الغاية تجشمنا أهوال هذه

الحرب الضروس واستشهد منّا من استشهد ؟ لم يكن العرب في
يوم من الأيّام الا مثال المروءة والشهامة ولم يركبوا في حروبهم
وفتوحاتهم الا سبل الفضيلة والسماحة ، فكيف تستبيح تلويث
تاريخهم وتشويه سمعتهم بهـــذه المخازي . ألم يردعك ضمير ؟ الم
تزعك كرامة ؟

زيدون ـ ليحلم سيدي الأمير ، فلن اعود الى مثلها .

عبدالعزيز ـ هذا لا يكفي وإن كنتُ على يقين بأنك نادمٌ على ما فعلت . يجب
أن تكفّر عن عملك ، فردّ للرجل ما أخذت ثم عدْ أدراجك الى
السجن ريثما أرى في أمرك . (للاسباني) اذهب لشأنك واحـذر
أن تأخذك في امره شفقة او تتسامح معه في كثير او قليل . اذا
رضيتَ بحقك إلا كاملًا ساويتُك به وتناولك عقابي بمثل ماسيتناوله
(يخرجان) فيعود عبد العزيز الى المطالعة ويُسمع من الخارج
صوت نسائي عذبٌ يغني بهذه الابيات).

ويا قلبي لحـــاك الله كيف تهون في البلوى
الا امسحْ دمعك الجاري فما في الدمع من جدوى
أراد الله أن تشقى على أيـــام من تهوى
فلذْ بالصبر ان الصبر قـد يأتيك بالسلوى
يموت الحرّ مصلوباً ولا يلجا الى الشكوى

عبدالعزيز ـ (ينادي) سعد ! (يقبل سعد)

سعد ـ سيدي !

عبدالعزيز ـ من المنشدة ؟

سعد ـ أظنها اخيلونا أرملة لزريق ، فإن الصوت ينبعث من محبسها .

عبدالعزيز ـ إليّ بها (يخرج سعد وبعد لحظة تدخل اخيلونا)

اخيلونا ـ السلام على الأمير .

عبدالعزيز ـ (يهرع لاستقبالها) أهلا بسيدتي المليكة . دعوتكِ لأهنئكِ برقة صوتكِ وعذوبة ألحانكِ .

اخيلونا ـ لعلّ جمال الصوت هو الذي جرّ على الكفار مصيبة القفص .

عبدالعزيز ـ لقد اجتمع فيك حسن الخلق وحسن العقل معاً ، فما أكرم من أعطى !

اخيلونا ـ ما كان أعذب ثناءك لو كان يردّ لي ماذهب من عزّي وما انطوى من سلطاني .

عبدالعزيز ـ ان لك من حسنك عرشاً يهزأ بالعروش ، وسلطاناً يتضاءل عنده سلطان التاج والصولجان .

اخيلونا ـ من كان مثلي لا يؤخذ بهذه الأقوال .

عبدالعزيز ـ أقسم لكِ أني لا أقولها مجاملة .

اخيلونا ـ وماذا ينفعني هـذا الحسن وأنا مغلولة اليد مغلولة النفس ، أسيرة عندكم ؟ أنا امرأة خلقت للأمر والنهي ، فإذا خلعت عني ثوب الملك جرّدتني من كل ما أسبغ الله عليّ من فضائل ومحاسن .

عبدالعزيز ـ تدرعي بالأمـــل ياسيدتي فقد ينشقُ طريق السعادة والفرج من حيث لاتنتظرين .

اخيلونا ـ وهل تحسب اني كنتُ أطيق الحياة لولا الأمل ؟

عبدالعزيز ـ سمعتُ اغنيتك الشجية فحسبت أن اليأس قد سدّ عليك مذاهب النور .

اخيلونا ـ هي صرخة المتألم المجروح وليست أنة الفاشل المقهور كما تراءى لك .

عبدالعزيز ـ ما أكبرك في الملمّات يا اخيلونا وما أصلب عودكِ !

اخيلونا ـ (بشيء من الغنج والاغراء) وما أعذب كلامك ياعبد العزيز ، وما اندى وقعه على القلوب المكلومة !

عبدالعزيز ـ اخيلونا ، أنا لاأستطيع أن أعيدكِ مليكةً مطلقة اليد ، مطلقة الارادة ، ولكن بوسعي أن أجعلكِ أميرة ذات حول وطول لا يدَ فوقها إلا يد الله ويد أمير المؤمنين .

اخيلونا ـ ولكنكَ مسلمٌ ياعبد العزيز وانا نصرانية .

عبدالعزيز ـ لايمكن أن يقف بيننا اختلاف في الدين . فالاسلام يبيح لاتباعه اتخاذ حلائل من النصارى ، وليس في تعاليم عيسى مايحول دون ذلك .

اخيلونا ـ تسومني أن أستبدل ديني واكفر بتربيتي ؟

عبدالعزيز ـ لا يا اخيلونا ، في وسعك أن تحافظي على معتقدك ، فالاسلام لا يفرض على المرأة أن تعتنق عقيدةَ زوجها وتتقيد بدينه ؟

اخيلونا ـ هل أنتَ صادقٌ فيما تقول ؟

عبدالعزيز ـ وهل يتراءى لكِ اني كاذب ؟

اخيلونا ـ قهرتني ياعبد العزيز ، وحطمتَ كبريائي بسحر عينيك . لقد احببتُك منذ زمن بعيد وانتَ لا تدري . احببتُك يومَ جئتَ

بلادنا بحجة التفرّج على محاسنها، ورأيتُك يومئذٍ في ديوان الملك ، ولكني كتمتُ عنك هواي لاني ... لم أجد فرصة أبوح لك فيها بذات صدري ...

عبدالعزيز ـ ولكنكِ تحبّين فيّ الامير يا اخيلونا .

اخيلونا ـ أنتَ واهمٌ ياعبد العزيز ، فقد احببتُك يوم لا يميزك لقب ولا تسمو بك رتبة . بل يومَ لا اعرف من أنتَ ولا من اين اتيتَ ولا الى اين تذهب . احببتُكَ ايام يترامى الامراء والاشراف على اقدامي طمعاً بنظرة عطف ارميهم بها كما ترمي الكلاب بكسرة من خبز . احببتُك أيام كان الموت والحياة معلقين بكلمة تخرج من فمي . وثق ياعبد العزيز اني لو كنتُ اعلم آنئذٍ انك لن تنبذَني وتوبأ بنفسك عني لهجرتُ أهلي ووطني وتاجي وكل ما أحاطني بهلزوبق من مظاهر العزّ وأسباب الرخاء وسعيتُ اليك ولو كنتَ في آخر الدنيا .

عبدالعزيز ـ يالكِ من كاذبة فتّانة !

اخيلونا ـ لو خرجتْ هذه التهمة من غير شفتيكَ لرأيتَ كيف تثور اخيلونا أيام كان القدر في يمينها والقضاء في يسارها .

عبدالعزيز ـ ولو خرج هذا التهديد من غير هذا الثغر الشهي لرأيتِ كيف يثور عبد العزيز أيام لايميّزه لقب ولا تسمو به رتبة .

اخيلونا ـ عبد العزيز !

عبدالعزيز ـ اخيلونا ! (يتعانقان في قبلة طويلة) .

(ينزل الستار)

الفصل الرابع

المكان : الديوان نفسه وقد طرأ تحوير طفيف
في اسلوب ترتيبه ورياشه

اخيلونا ــ سعد

اخيلونا ـ لقد طال غياب الأمير ياسعد ، فقد خرج الى الصيد باكراً ، وها هي الشمس تشرف على المغيب ولم يعد بعد .

سعد ـ هدئي روعك ياسيدتي فقد خرج مصحوباً بشرذمة من رجال ثقته وليس له على ماأعلم أعداء يُحذر شرهم فقد نشر راية العدل بين الناس وساوى في الحق بين سيدهم ومسودهم واجتثّ الشرّ من اصوله ، فلماذا الخوف والاضطراب ؟

اخيلونا ـ ان خوفي قائم على الأسباب نفسها التي تقوم عليها طمأنينتك،فليس الحق والخير والعدل مُثل الناس جميعاً . ان الذي يبني مجده على الظلم لايمكن أن يستريح الى العدل ، والذي يغمس خبزه بعرق الضعيف ودمه لايعجبه أن يسود الحق ، والذي يركب الشيطان مطيةً الى غرضه لايستطيع أن يطمئنّ الى الخير . وانا لا أخاف على عبد العزيز الاّ هؤلاء الناس ياسعد .

سعد ـ خلّي عنك القلق ، فعين الله ساهرةٌ على حياة سيدي تدرأ عنه كل مكروه .

اخيلونا ـ (باضطراب) سعد ، هل تعرف الوجهة التي قصدها ؟

سعد ـ كلا يامولاتي .

اخيلونا ـ لابأس . اسرج لي جواداً فاني اريد أن اذهب في طلبه . ان نفسي تحدثني بشرٌ مستطير .

سعد ـ رويدك يامولاتي .

اخيلونا ـ (بعنف) قلت فامتثل لأمري . (يهمّ بالخروج فتستوقفه) عفوك ياسعد ، ان القلق هو الذي اطلق لساني بهذه الشدّة . لاتؤاخذني فأنت تعرف ما اضمر لك من الاحترام والعرفان .

سعد ـ لاعليك ياسيدتي ، ولكني لاأزال أرى ان الاناة خيرٌ من العجلة . فقد تركبين طريقاً غير التي ركبها الأمير .

اخيلونا ـ سأبحث عنه في كل مكان .

سعد ـ لن أسمح بأن تعرضي نفسك للتعب والعناء . سأخرج أنا . (يخرج)

اخيلونا ـ بارك الله فيك ياسعد ، ماأكبر قلبك وأشد اخلاصك (يدخل توماس)

توماس ـ كيف حالك ياخيلونا .

اخيلونا ـ توماس ! ماذا جاء بك الى هنا ؟

توماس ـ علمتُ أن الأمير في الصيد فدفعني الشوق الى زيارتك

اخيلونا ـ ومن اوهمك اني اطمئنّ الى زيارتك في غيابه ؟

توماس ـ اجادةٌ أنتِ فيما تقولين ؟

اخيلونا ـ كل الجد . فليس بيننا مايخوّلك انتهاك بيت الأمير .

توماس ـ (بهزء) ماكنتُ اعرف ان لهؤلاء الزعانف حرمة تراعى .

اخيلونا ـ احفظ لسانك وإلاّ اضطررت الى ردّ بذاءتك بمثلها ودفع وقاحتك بما تستحق .

توماس ـ ماذا تقولين .

اخيلونا ـ اقول انك تهوّرتَ في مهاوي الضلال حين وسوس لك الشيطان اني لقمة سهلة المنال . لقد اعرضتُ عنك وضحكتُ من توسلاتك الغرامية حين كنتُ في ظل ابن عمك لزريق وهو ماهو عليه من التهتك والفجور ، فكيف تطمع بي وانا في كنف رجل تنطوي نفسه على اسمى معاني الأدب والفضيلة والشهامة ؟

توماس ـ ولكنه غريب عنك في الدين والخلق واللغة .

اخيلونا ـ ليس في دينه مايخالف تعاليم المسيح ، فالغاية واحدة وان اختلفت الطريق ، وليس في خلقه ماينافي الشرف . امّا لغته فأعذب اللغات وألطفها وقعاً على الاسماع . ثم ماشأن كل ذلك اذا كان يربط بين قلبينا رباط من الحبّ وتصل مابين روحينا صلة التفاهم ؟

توماس ـ وهل انتِ واثقة بأنه يحبّكِ ؟

اخيلونا ـ كل الثقة . ولكن من أنتَ حتى تقحم أنفك في شؤوني الخاصة ؟ ما انتَ الاّ متطفّل وقح ركب رأسه الى غرض دونه الموت ، فاخرج من هنا قبل أن تدفع غالياً ثمن وقاحتك .

توماس ـ لاتوقظي فيّ الذئب ياأخيلونا واعلمي انكِ اذا اصررتِ على عنادكِ جنيتِ على نفسكِ بنفسكِ .

اخيلونا ـ (تقهقه) ما أسخف عقلك وأقصر نظرك . اتحسب انك تخيفني
بالتهـــديد والوعيد ؟ قلت لك اخرج من هنا قبل أن يصـل
الأمير فتندم على تهوّرك . واقنع من الغنيمة بألا " أرفـــع اليه
أمرك ، ولتكن هذه آخر مرة أرى فيها وجهك المشؤوم .

توماس ـ سنرى من منّا سيندم على عمله (يخرج) .

اخيلونا ـ اذهب' لارعاك الله ولا سد"د خطاك ،
(تعكف على معالجة قيثارتها فيدخل عبد العزيز معصوب الرأس
يصحبه سعد .)

عبدالعزيز ـ اخيلونا .

اخيلونا ـ (وقد هرعت لاستقباله) ماهذه العصائب على رأسك ؟

عبدالعزيز ـ كبا بي الجواد فأصبت' بجراح ولكنها ليست' ذات بال . سعد ،
ادعُ لي أبا ليلى (يخرج سعد)

اخيلونا ـ (تتفحص جراحه) هل تشعر بألم ؟

عبدالعزيز ـ كلا يااخيلونا ، هي خدوش عرَضية ، اذهبي لشأنك فان لي الى أبي
ليلى حديثاً .

اخيلونا ـ ولكنك بحاجة الى الراحة ، فان آثار التعب بادية على محيّاك .

عبدالعزيز ـ قرّي عيناً فليس بي مايدعو الى القلق . أإلى هـذا الحد" تضعف
ثقتك بي يا اخيلونا ؟ (يضحك) .

اخيلونا ـ احبك ياعبد العزيز . ان المحب" خائف ابداً .

عبدالعزيز ـ ما اسعدني بك يا اخيلونا (يلتفت الى الخارج) هذا أبو ليلى مقبل

اخيلونا ـ أنا آوية الى فراشي فـــلا ترهق نفسك بالسهر الطويل . (تقبله وتخرج فيدخل ابوليلى)

ابو ليلى ـ السلام على الأمير ، مالك معصوب الرأس ؟

عبدالعزيز ـ خرجتُ للصيد فكبا بي الجواد ، ولكن كن على اطمئنان فإنها جراح سليمة (يشير اليه بالجلوس) .

ابو ليلى ـ أنا بين يديك .

عبدالعزيز ـ دعوتُك ياأبا ليلى لأستشيرك في شأن هام من شؤون الدولة ، فأنا كما تعلم أعتمد على آرائك وأثق بك ثقة مطلقة .

ابو ليلى ـ أنا رهن أمرك في كل ما يؤول الى توطيد الدولة وتعزيز شأنها .

عبدالعزيز ـ بورك فيك . اسمع ياأبا ليلى ، اني افكر بفتح بلاد الغال فقـــد خضعتْ لنا اسبانيا من مشرقها الى مغربهـا وتلاشت اصوات المتمردين والعصاة من أبنائها واطمأنوا الى حكمنا ، فما رأيك إذا واصلنا أعمال الفتح ؟

ابو ليلى ـ أعتقد أن الساعة لم تحنْ بعد . فقد يغتنم الاسبان هذه الفرصـــة ليتمردوا علينا ويظاهروا أعداءنا . فما تزال النار تحت الرماد وان بدا لك انها خامدة . وما تبرح الصدور تموج بالحقد والضغينة وان ابتسمت الشفاه . الذي أراه ان جهودنا يجب ان تنصبَّ اولاً على استمالة القلوب وخطب ودّها واستئصال اسباب الثورة ، حتى اذا استقام لنا الأمر وتوطدت دعائم الأمن وسادت عوامل الطمأنينة تحوّلنا الى هذه الناحيه وجهّزنا وسائل الزحف برّوية وأناة .

عبدالعزيز ـ (وقد غاب عن نفسه) اني أحلم بنشر سلطان الاسلام في سائر

اصقاع الغرب واخشى ان يفاجئني مكروه قبل تحقيق هذا الحلم .
اني ارى جيوش المسلمين تسير كالسيل الجارف من قطر الى قطر وتنشر أعلامها المظفرة في آفـــاق الدنيا ، وارى العربية تغزو الألسنة فتقوّمها وتنقل عجمتها الى فصاحة ، وارى انوار العلم والثقافـة تتغلغل في العقول فتحلها من قيود الجهل وتحررها من عبودية الأوهام وتشركها معنا في انشاء حضارة تقوم على قواعد الحق والجمال والفضيلة . فهل ينسّيء الله في اجلي حتى اضع اساس هذا العمل العظيم ؟

ابو ليلى ـ ليست العجلة بمأمونة العواقب . فقد نخسر في يوم واحد ما كلّفنا الشهور ونضيع في موقعة واحدة ما كسبناه في مواقع لا تُحصى . ان سياستك الرشيدة لم تعطِ ثمارها بعد ، ولكني على يقين بأنها ستقود الناس حتماً الى حظيرة الطاعة والاخلاص . فلماذا نستبق الحوادث ونقذف أنفسنا في مأزق لا نأمن أن نخرج منه سالمين ؟

عبدالعزيز ـ (وقد عاد الى نفسه) أحسنتَ يا أبا ليلى . لم تخيّب ظني بصدقك وولائك وبعد نظرك . ولكن يجب ألاّ تفهم من كلامي اني عازم الساعة على فتح بلاد الغال . انا على رأيك في وجوب التريّث والانتظار ولكني ارى ألا نضيع الوقت عبثاً . يمكننا أن نشرع منذ الآن بوضع خطط العمل حتى اذا سنحت الفرصة المرتقبة بادرنا الى اقتناصها .

ابو ليلى ـ وماذا نستطيع ان نعمل الآن ؟

عبدالعزيز ـ يمكننا أن نتجسس بلاد الغال ونتحرى اوضاعها السياسية وندرس

أخلاق اهلها ومذاهبهم الفكرية على نحو مافعلنا يوم فكّرنا بفتح الأندلس . كل هذه شؤون لابد منها لمن أراد ان يغزو بلداً . فهل استطيع ان اعوّل عليك في هذه المهمة الخطيرة ؟ اننا نحمل الى العالم رسالة النور والمدنية فلا يجب ان نتلكأ عن تأديتها ، وإلا كفرنا بأمتنا وخيّبنا أمل الانسانية فينا .

ابو ليلى ـ انا تحت تصرّفك ايها الأمير ، وثق أني سأبذل كل ما في طاقتي لكي اكون عند حسن ظنك . انا أعرف اني سأمشي على الجمر وسألتقي بالموت في كل منعرج من طريقي ، ولكني لن أتردد عن تضحية نفسي فداء واجبي القومي .

عبد العزيز ـ بارك الله فيك يا أبا ليلى ، وردّك الينا سالماً معافى .

ابو ليلى ـ انا ذاهبٌ الساعة لتجهيز وسائل السفر ، ولن يمرّ اسبوع حتى اكون في طريقي الى بلاد الغال . (يخرج فيدخل سعد)

سعد ـ سيدي ، في الباب راهب يريد المثول بين يديك

عبد العزيز ـ دعه يدخل . (يدخل الراهب)

الراهب ـ السلام على الأمير

عبد العزيز ـ وعليك السلام يارجل الله .(يومىء اليه بالجلوس فيلبث واقفاً)

الراهب ـ اظنّ انك لم تعرفني

عبد العزيز ـ رأيتك ... رأيتك ... لا اذكر اين رأيتك .

الراهب ـ امعن فيّ نظرك . (يهزّ عبد العزيز راسه)ما أضعف حافظتك. الا تذكر الشريد الفارسي ؟

عبد العزيز ـ (يهرع اليه) انت الامير خليان ؟ ما حلّ بك ؟

الراهب ـ انتقلتُ من عالم الى عالم . ان علاقتي بدنيا الناس قد انقطعتْ وانقطع معها كل خيط يصلني بماضيّ ، فأنا الآن اعيش في دير بعيد عن الضوضاء ، بعيد عن العمران لا يأوي اليه الا ابناء السبيل . لا تذكرني باسمي القديم ، فالأمير خليان قد مات وتقمص جسمَه رجلٌ آخر اسمه الأخ اغسطين .

عبد العزيز ـ وما الذي حملك على هذا التحوّل ؟

الراهب ـ لن اسهب . لما قُتل لزريق وتلاشى ظله هدأت ثورة نفسي وخمدت جدوة الحقد في فؤادي ، فشعرتُ بهول الجناية التي اقترفتها حين خنتُ وطني وتواطئتُ مع اعدائه ، وتراءتْ لي اشباح الذين استشهدوا في الدفاع عنه فسترتُ وجهي خجلاً وحياء وفزعت الى دير بعيد لأقضي بقية أيامي في التكفير عن هذه الجريمة .

عبد العزيز ـ ولكننا سوف نغمر هذه البقاع بالنور والحياة وننشر في هذه الربوع انوار العدل والسلام ونجعل منها جنة تجري من تحتها الأنهار .

الراهب ـ لا شكّ عندي في ذلك . ولكنها ستكون جنةً يسوسها قوم غرباء ويخفق في سمائها علم ليس لنا . انا اعرف انكم ستضمدون جراحات بلادي وستبذلون لها من برّكم وكرمكم ما قد يُنسيها انها مغلولة اليد مقيدة الحرية ، ولكن ذلك لن يمنع التاريخ من ان يقول ان الأمير خليان خائن مارق (يطرق قليلا) ولكن مالنا ولهذا . ان خليان قد مات وانطوى ذكره فلنتركه في مثواه وليسمح لي سيدي الأمير ان أوفع اليه حاجتي .

عبد العزيز ـ سل ما تريد .

الراهب ـ ان الدير الذي أقيم فيه قد تداعت بعض جدرانه وتخاذلت بعض سقوفه ، فهل يرخص لنا سيدي الأمير ان نستنـــدي اكف المحسنين لتجديد ما تداعى وتوطيد ما تخاذل ؟

عبدالعزيز ـ ما اسمُ هذا الدير ؟

الراهب ـ يعرفه الناس بدير الرابية البيضاء .

عبدالعزيز ـ لاحاجة الى استجداء الناس . سأرسل لكم في الغد من يرّممه على هواكم .

الراهب ـ أطال الله عمر الأمير وعطّر طريقه ، ولكننا بحاجـــة الى بعض الأواني والرياش ، فقد تقادم العهد على ما كان فيه فلم يبق منهـا شيء يصلح .

عبدالعزيز ـ وسأهبكم كل ماتحتاجون اليه من آنية ورياش .

الراهب ـ بقيتْ لي امنيّة أخرى أرجو ألاّ يضيق بها صدرك .

عبدالعزيز ـ وماهي ؟

الراهب ـ في الدير ناقوس عتيق نحلم في استبداله بناقوس جديد أكبر قدراً وأصفى معدناً .

عبدالعزيز ـ سيكون لكم ماتريدون .

الراهب ـ لايغضبْ سيدي الأمير ، فان مهمتي لم تنتهِ بعد .

عبدالعزيز ـ قل ماتريد .

الراهب ـ اريد ان اقبّل يدك (يهم بتقبيلها فيقبضها عبد العزيز) .

عبدالعزيز ـ اما هذه فلا .

الراهب ـ ان لساني ليعجز عن اسدائك فروض الشكر والعرفان . فهل تسمح لنا ان نسجل اسمك على مدخل الدير تخليداً لاحسانك واعترافاً بجميلك ؟

عبدالعزيز ـ كلا فاني اخاف ان يتخذها المسلمون بعد موتي حجةً للاستيلاء على الدير . ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبى حين زار القدس الشريف أن يصلي في كنيسة القيامة خوفاً من مثل هذه العاقبة ، فهل أخالف هذه الأمثولة الحكيمة ؟

الراهب ـ رضي الله عن خليفتكم أيها الأمير ، وبورك فيك . لقد طال مكوثي بين يديك فاستودعك الله واسأله ان يمهّد طريقك ويغمره بالظل والندى .

عبدالعزيز ـ صحبتك السلامة . بلغ رئيس الدير تحيتي وأطلعه على عزمي ، وقل له ان يوفدك إليّ كلما اعوزكم امر . (يخرج الراهب) سعد !

سعد ـ (وقد أقبل) سيدي !

عبدالعزيز ـ لقد إدلهمّ الليل ، فيمكنك ان تذهب الى فراشك .

سعد ـ وكيف أتركك وحدك ؟

عبدالعزيز ـ ان الرأس كثير الأوجاع ياسعد . إذهب الى فراشك ، فقد إنتهت شؤوني الأرضية ولم يبق إلا الواجب الديني ، سآوي الى الفراش عندما أفرغ من صلاتي (يخرج كل منهما من باب ، فيظهر بعد قليل ابو الحسن وزيدون بن ربيعة ملثمين) .

ابوالحسن ـ (يتلصص المكان) انه هناك يصلي ، فهل نقتحم عليه المسجد ؟

زيدون ـ كلا ياأبا الحسن ، فلنكمن له هنا حتى اذا فرغ من صلاته وتحول

الى مرقده إنقضضنا عليه واعملنا فيه خناجرنا

أبو الحسن ـ لقد دنت ساعة الانتقام الرهيبة ياعبدالعزيز فالويل لك . لقد ظننت اني ناس إهانتك وتطاولك علي بين يدي أبيك ، ولكن خاب فألك . ان تلك الصرخة الوقحة ستكلفك حياتك .(يستل خنجره) ايها الرفيق الوفي ، بعد لحظة أروي ظمأك بدمه)

زيدون ـ ان الوقت لايتسع الآن للتهديد والوعيد ، فقد يفاجئنا مفاجيء فتنقلب الحال ونقع في ورطة لامنقذ منها . هيــا نختبيء . توارَ أنت هناك . (يتوارى كل منهما في ناحية ، حتى اذا ظهر عبـد العزيز إنقضا عليـه فيقوم بينهم عراك عنيف ينتهي بسقوط عبد العزيز جريحاً وفرار الجانيين) .

عبدالعزيز ـ أبو الحسن ... زيدون بن ربيعة ... يالكما من عقربين (ينادي وهو يتحامل على نفسه) اخيلونا ... سعد !

اخيلونا ـ(وقد اقبلت) عبدالعزيز

سعد ـ سيدي مابك؟(ينكبان عليه)

عبدالعزيز ـ سعد ، ادعُ لي أبا ليلى (يخرج سعد) كفكفي دموعك يااخيلونا ، فانها لاترد قدراً

اخيلونا ـ ان جراحك تنزف دماً . الهي كن في عوني! (تعالج جروحه).

عبدالعزيز ـ عبثاً يااخيلونا . لقـد بلغ الجناة وطرهم . لم يبق لي من العمر إلا لحظات . آه أحس بعطش قاتل ، فهل لك ان تعطيني جرعة ماء ؟ (تأتي له بكأس فيشرب) الحمد لله . انا خارج من هذه الدنيا قرير

العين رضي البال لأني آخلصت الخدمة لأمتي وقدمتها على نفسي ولم أسيء الى أحد إلا بالحق . (يدخل ابو ليلى وسعد راكضين) .

أبو ليلى ــ سيدي ، جُعلت فداك ، ماذا دهاك ؟

عبدالعزيز ــ قضاء كتب منذ الأزل ، فلنرضخ لأحكامه .

ابو ليلى ــ ومن الذي اقتحم عليك الغيل ؟

عبدالعزيز ــ إثنان من رجالنا تسربا الى القصر في غفـلة من العيون ، ولكن إسمهما سيبقى بيني وبينهما وبين الله .

ابو ليلى ــ ياللجناة الكفرة !

عبدالعزيز ــ أحس ان قواي قد تلاشت واني مفارق هـذه الدنيا بعد قليل ، فاسمع ياأبا ليلى . أوصيكم بتقوى الله . قل للناس اني وضعت أمرهم في يد ابن عمي ايوب اللخمي لحزمه وإيمـانه ورجاحة عقله ، فاذا إرتضوا به او إختاروا سواه فأخلص له كما أخلصت لي وكما أخلصت لأبي من قبلي ، وأطلعه على ما كنت أحلم به من فتح بلاد الغال . ان الغرب لفي ظلام قاتل ، فلنحمل إليه النور والحياة . لقد أضاع الغرب نفسه ولن يجدها إلا على يدنا .

ابو ليلى ــ ولكن الأمل من حياتك لم ينقطع أيها الأمير .

عبدالعزيز ــ لم يبق بيني وبين الآخرة إلا خطوة قصيرة المدى ، فلا تقطع علي كلامي . أوصيكم بإخيلونا فانها بقيتي فيكم قل لمن يخلفني ان يسوس الناس بالعدل والحق ويحكم بينهم بالتقوى ومخافة الله ولا بأس ان يلقى من الناس مالقيت ، فقد مات الفاروق عمر بن الخطاب رضي

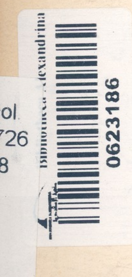
الله عنه ضحية عدله وتقواه ولسنا بخير منه . لقد وعدت رهبان دير
الرابية البيضاء ان أرمم لهم ديرهم وأكسوه بكل مايحتاجون اليه
من آنية ورياش، واستبدل لهم ناقوسه بناقوس يختارونه على هواهم.
فأوصيك ياأبا ليلى ان تنجز لهم وعدي من مالي الخاص . قل لمن
يخلفني ان يرفق بأبناء هذه البلاد ويحسن معاملتهم ، وحذار ثم
حذار ان يقيدهم في حريتهم الشخصية او الدينية ، فقد قال الله في
كتابه العزيز : ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا
نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وانهم لا يستكبرون ...
إنتهت وصيتي ... وها أنا انتهي معها ... فاحرصوا على تنفيذها
بحروفها ... أنا راحل عن هذه الدنيا ... أستودعكم الله ... على
ان نلتقي ... في الجنة .

ينزل الستار — انتهت

الفهرس

تصويب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦	١٩	ن	ان
١٨	١٤	مومي	موسى
٣٦	٨	مفارقني	مفارقي
٣٨	١٦	سنسبيء	سنسيء
٤٢	٧	ينافشه	يناقشه
٤٥	١١	الرحمان	الرحمن
٤٧	٩	مايميره	مايميزه



مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق

ثمن النسخة ٧٥ ق.س